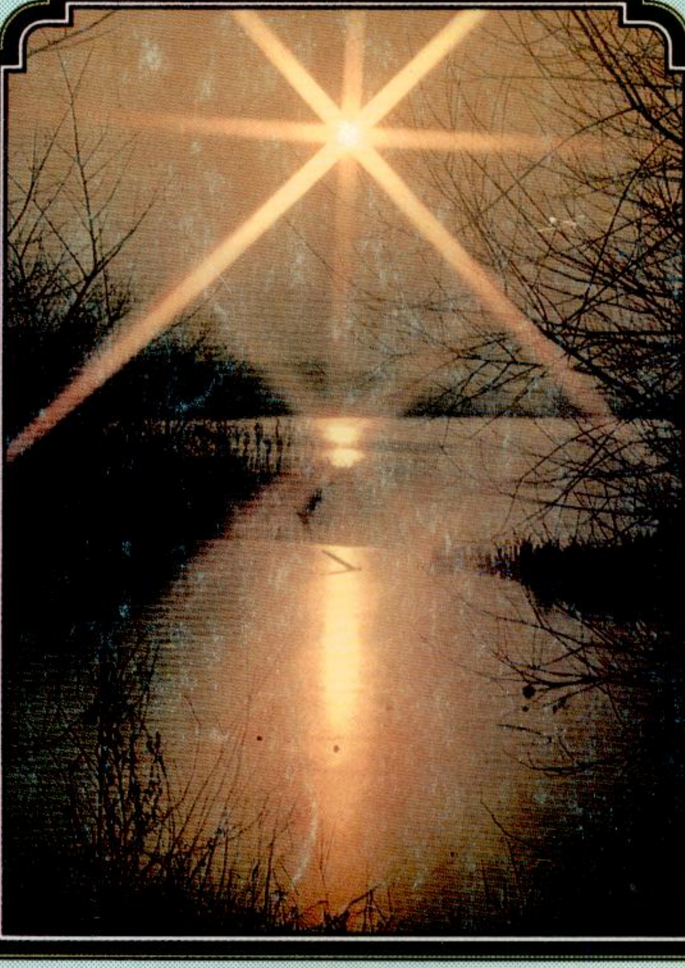
الانسان الروحى

وتشمان نى الجزء الخامس

THE SPIRITUAL MAN



الانسان الروحى

وتشمان نى

الجزء الخامس

وظائف الروح

ترجمة

لويس كامل ـ ايفا وهيب

١٩٨٩

اهـــداء ..

إلى السـائرين و السـاعين

للسير على درب

المشـيئة الالهـية

بعيدا عن الضلال

و دروب الظلام

اهـدى هـذا الكتاب

م . م

الفهرس

الموضوع	الصفحة

مقدمة الناشر

إن كتاب الإنسان الروحى هو الكتاب الوحيد الذى كتبه واتشمان نى بنفسه .. وفى وقت كتابة هذا الكتاب كان الأخ نى مريضاً لدرجة أنه كان يظن أن هذا هو آخر عمل سوف يستطيع أن يقدّمه للكنيسة .. ولكن نعمة الله كانت أقوى من كل توقع .

بعد نشر هذا الكتاب بعدة سنوات ، قال الأخ نى فى إحدى المرات أنه يخشى أن هذا الكتاب يتحول إلى مجرد مرجع نظرى وليس مرشد عملى كما كان يريده أن يكون ، وأنه لهذا السبب لا ينوى أن يعيد طباعته مرة أخرى .. ولكن أمام الإحتياج الكبير الذى يعانى منه المؤمنون اليوم ، فى مجال الحياة الروحية والجهاد الروحى ، فإننا متأكدون أن الأخ واتشمان نى كان بلا شك سوف يسمح لنا بطباعته باللغة العربية ، وذلك لأننا نعرف أنه كان شخصاً منفتحاً دائما لطرق الله ، ومستعداً دائما لخدمة شعب الرب بكل العطايا التى أعطاها الله له .

وكتاب الإنسان الروحى يتكون من عشرة أجزاء وهى :

١ ــ الإنسان ــ روح ونفس وجسد

٢ ــ الطبيعة الجسدية

٣ ــ النفس

٤ ــ الروح

٥ ــ وظائف الروح

٦ ــ السلوك بالروح

٧ ــ مكونات النفس ــ العاطفة

٨ ــ مكونات النفس ــ الذهن

٩ ــ مكونات النفس ــ الإرادة

١٠ ــ الجسد

ولقد فضلنا أن ننشر كل جزء على حدة وذلك لعدة اعتبارات فنية وروحية .. فبهذه الطريقة ، سوف يتمكن كل من يهتم بجزئية خاصة من أجزاء الكتاب أن يحصل عليها منفصلة ، وفى نفس الوقت يستطيع أن يحصل على الكتاب كاملًا باقتناء جميع الأجزاء معاً .

أما من الناحية الروحية ، فإننا لا نقصد إطلاقاً أن نضيف إلى مكتبة القارىء كتاباً جديداً ، لأن هذا بعيد عن ذهننا تماماً ولكن كل قصدنا هو تقديم رؤية روحية دقيقة وأمينة تمس عبادتنا وحياتنا الروحية وسلوكنا الروحى وممارساتنا الروحية ، وخاصة أننا

هنا فى مصر (وأستطيع أن أقول فى الشرق) نمارس حياتنا الروحية بأساليب أقرب الى الخطأ منها إلى الصواب ، وأقرب إلى الجهل منها إلى الفهم ، حتى أن العبادة النفسية أصبحت تطغى على العبادة الروحية الحقيقية المبنية على الفهم والادراك لكلمة الله .

لذلك فإننا أمام التشويه الرهيب الذى تُشوه به اختبارات الروح القدس ، كنا نود أن نقدم كلمة حق تُعبِّر عن الفكر المسيحى بخصوص هذه الممارسات .. ولكننا عندما قرأنا هذا الكتاب وشعرنا بمدى إدراك الكاتب لأخطار هذه العبادة النفسية كان اتفاقنا على تقديم هذا الكتاب للقارىء بدون أى تصرف أو حذف ، خاصة وأن الكاتب هو أخ مؤمن عاش مع الله حياة روحية حقيقية ، وإن كان هو بنفسه قد اجتاز مرحلة من العبادة النفسية وأدرك ما لهذا الأسلوب من خطورة على علاقة الإنسان بالله وبالمجتمع وبالكنيسة .. ولذلك فإننا قد رأينا أن نُقدِّم الكتاب على أجزاء حتى يكون فى متناول الشباب الذين هم ضحية هذه العبادة النفسية فى وقتنا الحاضر ، وحتى يتمكنوا من قراءته بسهولة ويسر .

لن نزيد على هذا الكلام ، ولكننا نترك القارىء مع واتشمان نى والإنسان الروحى .. راجين لفت نظر القارىء الكريم

إلى أن هذا الكتاب يُقدّم الأسلوب الصحيح لممارسة جميع العطايا الإلهية للإنسان فى وقت يسكب فيه الله من روحه ويعطى عطاياه ، بينما يحاول عدو كل بر أن يشوه عطايا الله .

نصلى لأجلك أيها القارىء الكريم ولأجل هذه الكلمات التى كتبها أخ لنا فى المسيح ، ودمتم فى حماية الرب .

عنواننا : ص.ب. ٢٤٥٥ الحرية ــ هليوبوليس

١ـ الحس الروحى

لكى نفهم معنى الحياة الروحية بأكثر وضوح ، يجب علينا أن ندرس وظائف الروح بالتفصيل وأن نستوعب جميع قوانينها .. فإننا لن نستطيع أن نعرف قوانين الروح إلا بعد أن نفهم وظائفها ولن نستطيع أن نسلك بالروح إلا بعد أن نستوعب قوانينها ، لأن السلوك بالروح ليس إلا سلوكاً بحسب قوانين الروح .. لذلك يجب علينا ألا نخاف من التوسع فى فهم أمور الروح ، ولكن ما يجب أن نخافه فعلاً هو أن نخوض فى هذا الموضوع بعقولنا .

تتلخص الأنباء السارة التى يرسلها الله للإنسان فى **أن الإنسان الهالك يستطيع أن يحصل على حياة ، والإنسان الجسدى يستطيع أن يحصل على روح جديدة** .. هذه الروح الجديدة هى أساس الحياة الجديدة .. فإن السلوك الروحى ليس إلا سلوكاً بحسب هذه الروح الجديدة التى نحصل عليها بالولادة الثانية .

إنه من المؤسف حقاً أن معظم المؤمنين لا يعرفون شيئاً عن وظائف الروح ولا عن سائر الأمور المتعلقة بها .. ومع أنهم يعرفون نظرياً علاقة الروح بالإنسان إلا أنهم لا يعرفونها إختبارياً .. فإما

أنهم لا يعرفون أين توجد الروح ، وإما أنهم يظنون أن مشاعرهم وأفكارهم الشخصية هى من وظائف الروح .. من هنا كانت أهمية التعرف على وظائف الروح ، لأنه بدون هذه المعرفة لن يستطيع أحد أن يسلك بالروح .

وظائف الروح

لقد سبق أن ذكرنا أن وظائف الروح تشمل : **الحس الروحى ، والشركة ، والضمير** .. ومع أن هذه الوظائف الثلاثة يمكن التمييز بينها ، إلا أنه لا يمكن فصلها عن بعضها .. ولذلك فإننا لن نستطيع أن نتكلم عن إحداها بدون أن يتطرق الحديث إلى الإثنين الآخرين .. فعلى سبيل المثال ، عندما نتكلم عن وظيفة الحس الروحى ، لابد وأن يأتى ذكر الشركة والضمير أيضاً .. لذلك فإننا فى هذه االدراسة سوف نحاول أن نكشف النقاب عن حقيقة هذه الوظائف الثلاثة لمساعدة الذين يريدون أن يسلكوا بالروح .. إذ أننا نستطيع أن نقول **أن السلوك بالروح هو سلوك مؤسس على الحس الروحى ، والشركة ، والضمير** .

هذه الوظائف الثلاثة ليست هى الروح بل هى وظائف الروح (ومع أنه توجد وظائف أخرى للروح إلا أن هذه هى وظائفها الرئيسية) .. أما الروح فى حد ذاتها فهى شيء غير مرئى

ولا يمكننا أن ندرك جوهرها بفهمنا الحالى .. فكل ما نستطيع أن نعرفه عنها الآن هو وظائفها .. وحيث أننا لا نحاول هنا أن نكشف عن أسرار مستقبلية ، بل نريد فقط أن نكتشف حقيقة الحياة الروحية ، فإننا لن نحتاج إلا أن نفهم هذه الوظائف وعلاقتها بالسلوك الروحى .. **فالروح ليست مادة ولكنها شيء مستقل موجود بداخلنا ، منه تنبثق كافة القدرات اللازمة لعمل مطالب الله** .. لذلك فإن ما يهمنا الآن ليس هو جوهر الروح بل عملها .

لقد سبق أن شبهنا الإنسان بالهيكل ، وشبهنا روح الإنسان بقدس الأقداس .. بداخل قدس الأقداس كان هناك « تابوت العهد » ويمكننا هنا أن نشبه وظائف الروح الإنسانية بمحتويات تابوت العهد :

أولاً : كان تابوت العهد يحتوى على لوحى الشريعة المكتوب عليها **وصايا الله** .. وكانت هذه الوصايا هى التى تحدد لشعب الله ماذا ينبغى أن يعملوا .. أى أن الله كان يعلن ذاته ويعلن إرادته للناس من خلال الشريعة .. وبنفس الطريقة فإن **الحس الروحى** هو الوسيلة التى بها يستطيع المؤمن أن يعرف إرادة الله لكى يسلك بموجبها .

ثانياً : فوق التابوت كان هناك **غطاء من ذهب** مرشوش بالدم ، وهذا الغطاء يُسمى « كرسى الرحمة » .. ولقد كان الله يُعلن مجده من فوق هذا الغطاء ، وكان الإنسان يقدم العبادة لله فى نفس المكان .. هذه هى وظيفة **الشركة** .. ، التى من خلالها يستطيع الشخص المرشوش بالدم أن يعبد الله فى الروح وأن تكون له شركة معه .. فكما كان الله يلتقى بالشعب القديم من فوق غطاء التابوت ، كذلك فإنه يلتقى الآن بالمؤمنين فى أرواحهم المطهرة بالدم .

ثالثاً : كان التابوت يُسمى « **تابوت الشهادة** » لأنه كان يحتوى على الوصايا العشر التى هى بمثابة شهادة الله إما لصالح بنى اسرائيل أو ضدهم .. هذا هو عمل **الضمير** .. فإن ضمير المؤمن مكتوب عليه قوانين الله وهو الذى يشهد لسلوك المؤمن : هل هو صائب أم خطأ .. « وضميرى شاهد لى بالروح القدس » (رو ٩ : ١)

لقد كان الشعب القديم يتعامل مع التابوت بكل وقار وإحترام .. فعند عبور نهر الأردن لم يكن لهم مُرشد سوى التابوت ومع ذلك فقد ساروا وراءه بلا تردد .. وعند محاربة أريحا ، لم يفعلوا شيئاً أكثر من السير وراء التابوت .. وعندما حاول الإسرائيليون فى إحدى المرات أن يستخدموا التابوت بطرقهم الخاصة ، لم

يستطيعوا أن يصمدوا أمام الفلسطينيين .. وفى مرة أخرى حاول عُزه أن يمد يده البشرية ويسند التابوت ، فكانت النتيجة أن الرب أماته فى الحال .. إن ما نتعلمه من هذه المواقف هو أننا يجب أن نتعامل بمنتهى الحرص مع تابوتنا ــ أى أرواحنا ــ وما تحويه من وظائف ثلاث .. فإننا إذا سلكنا بهذه الطريقة ، سيكون لنا حياة وسلام ، أما إذا سمحنا للجسد بأن يتدخل ، فلن يكون من نصيبنا سوى الفشل والهزيمة .. فالنصرة لم تكن تعتمد على أفكار الإسرائيليين بل على قيادة تابوت العهد لهم .. كذلك أيضاً فإن التقدم الروحى لا يعتمد على فكر الإنسان بل يعتمد على إرشاد الحس الروحى والشركة والضمير .

الحس الروحى

كما أن النفس لها حواس ، كذلك الروح أيضاً .. ومع أن الروح على علاقة وطيدة بالنفس إلا أنها تختلف عنها كل الاختلاف .. فالنفس لها حواسها المتعددة ، ولكن الإنسان الروحى يمتلك مجموعة أخرى من الحواس ــ موجودة فى أعمق جزء فى كيانه ــ وهذه الحواس تختلف إختلافاً جوهرياً عن حواس النفس .. فهناك فى هذا الجزء الداخلى يستطيع الإنسان الروحى أن يفرح وأن يحزن وأن يحب وأن يخاف وأن يوافق وأن يرفض وأن

يتوقع وأن يميز الأمور المختلفة .. هذه التحركات كلها يشعر بها الإنسان فى روحه ، وهى تختلف عن تحركات النفس التى يتم التعبير عنها من خلال الجسد .

ويمكننا أن ندرس حواس الروح ومظاهرها المتعددة من الآيات الكتابية التالية :

« أما الروح **فنشيط** » (مت ٢٦ : ٤١)

« **شعر** يسوع بروحه » (مر ٢ : ٨)

« **فتنهد** بروحه » (مر ٨ : ١٢)

« **تبتهج** روحى بالله مخلصى » (لو ١ : ٤٧)

« الساجدون الحقيقيون **يسجدون** للآب بالروح والحق » (يو ٤ : ٢٣)

« فلما رآها يسوع تبكى ..**انزعج** بالروح **واضطرب** » (يو ١١ : ٣٣)

« لما قال يسوع هذا ، **اضطرب** بالروح » (يو ١٣ : ٢١)

« وبينما بولس ينتظرهما فى أثينا **إحتدت** روحه فيه إذ رأى المدينة مملوءة أصناماً » (أع ١٧ : ١٦)

« كان هذا خبيراً فى طريق الرب وكان وهو **حار** فى الروح » (أع ١٨ : ٢٥)

« والآن ها أنا أذهب إلى أورشليم **مقيداً** بالروح » (أع ٢٠ : ٢٢)

« **حارين** فى الروح » (رو ١٢ : ١١)

«لأن مَن من الناس **يعرف** أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه» (١كو ٢ : ١١)

« **أصلى** بالروح وأصلى بالذهن أيضاً . **ارتل** بالروح وأرتل بالذهن أيضاً » (١كو ١٤ : ١٥)

« إذا **باركت** بالروح » (١كو ١٤ : ١٦)

« لم تكن لى **راحة** فى روحى » (٢كو ٢ : ١٣)

« فإذ لنا روح **الإيمان** عينه » (٢كو ٤ : ١٣)

« روح **الحكمة والإعلان** » (أف ١ : ١٧)

« الذى اخبرنا أيضاً **بمحبتكم** فى الروح » (كو ١ : ٨)

من هذه الأجزاء الكتابية نستطيع أن نفهم أن الروح لها حواس واضحة ، وأن هذه الحواس متعددة المظاهر .. والكتاب المقدس لا يكلمنا هنا عن إحساسات قلوبنا ولكن عن **إحساسات أرواحنا** .. ويبدو أن حواس الروح واسعة النطاق مثلها مثل حواس النفس .. فالروح أيضاً لها أفكارها ومشاعرها ورغباتها .. ولكن **ما أحوجنا إلى التمييز بين حواس الروح وحواس النفس** ! إن هذا التمييز لا يتأتى لنا إلا إذا إزددنا نضجاً بواسطة عمل الصليب وعمل الروح القدس .

ولكى تنمو حواسنا الروحية نمواً متزايداً ، يجب علينا أولاً أن نكون سالكين سلوكاً روحياً .. فقبل أن نختبر فصل النفس عن الروح وقبل أن نختبر الاتحاد بالرب فى روح واحد ، تكون حواسنا الروحية متبلدة إلى حد كبير .. ولكن عندما تنسكب قوة الروح القدس فى أرواحنا ، يتقوى إنساننا الداخلى وتنضج حواسه وعندئذ فقط نستطيع أن نميز بوضوح حواس أرواحنا .

ويُسمى هذا الحس الروحى « بالإلهام » intuition وذلك لأنه يأتى مباشرة بدون أى مسببات .. فحواس الإنسان العادية تأتى دائماً نتيجة لتصرفات أو أشياء أو أشخاص أو ظروف .. فالإنسان يفرح عندما يكون هناك سبباً للفرح ، ويحزن عندما يكون هناك مبرراً للحزن .. فكل من هذه الأحاسيس لها مسبباتها ولذلك فإننا لا نستطيع أن ننسبها للإلهام أو الإحساس الداخلى المباشر .. أما الاحساس الروحى فهو لا يحتاج إلى أى مسببات خارجية ولكنه ينبع مباشرة من داخل الإنسان .

هناك تشابه كبير بين النفس والروح .. ولكن الله لا يريد أن أولاده يسلكون بحسب النفس ، لا بحسب أفكارها ولا مشاعرها ولا رغباتها .. فإن الطريق التى رسمها الله لنا لكن نسلك فيها هى طريق الروح ، وكل الطرق الأخرى لا تحقق أى تقدم روحى لأنها تنتمى للطبيعة العتيقة .. ولكن ما هو معنى السلوك بالروح ..؟ إنه يعنى الحياة بالإعتماد على الحس الروحى لأن الحس الروحى يُعبِّر عن فكر الروح التى تُعبِّر بدورها عن فكر الله .

فى أحيان كثيرة نفكر فى عمل شيء ما ، وتكون لدينا أسباب قوية لعمل هذا الشيء ، وفى نفس الوقت تكون قلوبنا مبتهجة بهذا العمل ، ولذلك فإن إرادتنا تتخذ قراراً بأدائه .. ولكن فى أعماقنا الداخلية ينبع صوت غير مسموع يقاوم بشدة هذا

العمل الذى وافقت عليه أفكارنا ومشاعرنا وإرادتنا .. فإن هذا الصوت الخفى يكون مؤداه أن هذا العمل لا ينبغى أن يُعمل .. وفى أحيان أخرى يكون هناك شيء غير منطقى فى نظرنا ، وغير مرغوب فى مشاعرنا ، وغير مقبول لإرداتنا ، ولكن هذا الصوت الداخلى الهادىء يحثنا ويدفعنا بقوة لعمله .

فما هو إذاً هذا الصوت العجيب الذى ليس له علاقة بأفكارنا ولا عواطفنا ولا إرادتنا .. ؟ إنه الحس الروحى .. فالروح تُعبر عن نفسها من خلال الحس الروحى .

والحس الروحى يختلف إختلافاً كبيراً عن إحساس **المشاعر** .. ففى أحيان كثيرة نشعر بميل عاطفى لعمل معين أو تصرف معين ، ولكن إحساسنا الروحى الداخلى يحذرنا بشدة ضده .. وكذلك فإن الحس الروحى يختلف أيضاً عن وظيفة **العقل** .. فالعقل مكانه فى المخ ووظيفته التفكير المنطقى ، أما الحس الروحى فمكانه فى الروح ، وعمله كثيراً ما يكون مضاداً للمنطق .. فالروح القدس يُعبِّر عن فكره من خلال هذا الحس الروحى .. فعندما نقول أننا ننقاد بروح الله فهذا يعنى ببساطة أن الروح القدس يجعلنا نعرف إرادته فى داخلنا من خلال تعامله مع أرواحنا .

وهذه هى الطريقة التى بها نستطيع أن نفرق بين ما هو من

روح الله وما هو من أنفسنا أو من الشيطان .. **فالروح القدس يسكن فى أرواحنا فى الداخل ، ولذلك فإن فكره الذى يعلنه لنا عن طريق الحس الروحى ، لابد وأن ينبع من الداخل** .. أما الأفكار التى تنشأ من الجزء الخارجى من كياننا ـــ سواء من الذهن أو من العاطفة ـــ فهذه لا يمكن أن تكون من الروح القدس ولكنها تكون نابعة من النفس .. وتنطبق هذه القاعدة أيضاً على الأفكار التى تأتى من الشيطان .. فإن الشيطان لا يسكن فى أرواحنا ولكن فى العالم : « الذى فيكم (الروح القدس) أعظم من الذى فى العالم (الشيطان) » (ايو ٤ : ٤) .. ولذلك فإن الشيطان لا يستطيع أن يهاجمنا إلا من الخارج .. فهو يستطيع أن يعمل من خلال شهوات الجسد أو من خلال مشاعر النفس وأفكارها ، لأن هذه الأشياء تنتمى إلى الإنسان الخارجى .. لذلك فإننا نحتاج أن نتعلم كيف نفحص مشاعرنا ونميز هل هى نابعة من إنساننا الداخلى أم الخارجى .

المسحة التى من الله

« وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس **وتعلمون** كل شىء
(ايو ٢ : ٢٠)

« وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه **ثابتة فيكم ولا حاجة بكم**

إلى أن يعلّمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شىء وهى حق وليست كذباً **كما علّمتكم تثبتون فيه** »
(ايو ٢ : ٢٧)

توضح لنا هذه الاعداد الكتابية الطريقة التى بها تستطيع المسحة التى من الله أن تُعلمنا وتُوجهنا .. فالحس الروحى الذى كنا نتكلم عنه هو أثر المسحة التى من القدوس والتى تُعلمنا كل شىء .

وقبل أن نخوض فى هذا الموضوع نحتاج أولاً أن نعرف الفرق بين « المعرفة » و « الفهم » .. فنحن كثيراً ما نخلط بين هاتين الكلمتين ، مع أنه من الناحية الروحية هناك فرق شاسع بينهما .. فالروح « تعرف » know أما الذهن فهو « يفهم » understand .. فنحن « نعرف » أمور الله بواسطة أرواحنا أما أذهاننا فهى ليست لديها القدرة أن « تعرف » ولكنها تستطيع فقط أن « تفهم » .. **فالمعرفة هى من وظائف الحس الروحى ، أما الفهم فهو من وظائف الذهن** .. إن الروح القدس هو الذى يُعطى القدرة لأرواحنا لكى تعرف ، وأرواحنا هى التى تساعد أذهاننا لكى تفهم .. قد يكون من الصعب التمييز بين هاتين الكلمتين نظرياً ، ولكنهما من الناحية الإختبارية مختلفتان كل الإختلاف مثل إختلاف الحنطة عن التبن .. ولكن للأسف فإن

الجهل قد وصل اليوم بالمؤمنين الذين يطلبون معرفة فكر الروح القدس إلى حد أنهم لا يميزون بين «المعرفة» و «الفهم» .

ألسنا فى أحيان كثيرة نختبر هذا الإحساس الداخلى الذى يجعلنا « نعرف » من جهة أمر معين هل نفعله أم لا .. ؟ فى هذه الحالة نستطيع أن نقول أننا قد عرفنا فكر الروح القدس فى أرواحنا ، مع أن أذهاننا قد تكون غير قادرة بعد على فهم هذا الأمر .. ففى الأمور الروحية ، قد تكون هناك معرفة بدون فهم .. ألم نختبر مراراً كيف أننا بعد أن تفشل كل محاولاتنا ، يأتى الروح القدس ويضع تعليمه فى أرواحنا ، فنهتف عندئذ متهللين « لقد عرفت الأمر ! » وبعد أن نطيع وننفذ هذا الأمر الذى أعلنه الروح القدس لأرواحنا ، ألا يحدث أحياناً بعد مدة طويلة أن أذهاننا تستنير وتفهم ما الذى كان يعنيه الروح القدس بهذا الأمر ، وعندئذ نصيح قائلين : « الآن ، قد فهمت الأمر ! » .. ؟ هذه الإختبارات توضح لنا كيف أننا « **نعرف** » **فكر الله بواسطة أرواحنا بينما** « **نفهم** » **إرشاده لنا بواسطة أذهاننا** .

لقد وضح لنا الرسول يوحنا وظيفة الحس الروحى بقوله أن **المسحة التى لنا من الله هى التى ستعلّمنا كل شيء** وتجعلنا نعرف كل شيء حتى أننا لن نحتاج لأى إنسان أن يعلّمنا .. فإن الله قد أعطى روحه القدوس لجميع المؤمنين لكى يسكن فيهم

ويقودهم إلى جميع الحق .. وما هى الطريقة التى بها يقودنا الروح القدس ؟ إنه يقودنا من خلال الحس الروحى .. إنه يكشف عن فكره لروح المؤمن .

فالحس الروحى لديه القدرة على تمييز تحركات الروح القدس وإدراك معناها .. فكما أن **العقل يستطيع أن يميز الأمور الدنيوية ، كذلك فإن الحس الروحى يستطيع أن يميز الأمور الروحية** .. إن كلمة « مسحة » مشتقة من عملية « مسح الجسد بزيت الزيتون » .. وهذا يوضح لنا الطريقة التى بها يتكلم الروح القدس فى روح المؤمن ، فهو لا يتكلم بصوت مرعد من السماء ولا يطرح المؤمن إلى الأرض بقوة خارقة ، ولكنه يعمل فى روح الإنسان بكل هدوء لينقل إليه أمر معين يريد أن يقوله له .. فكما أن مسحة زيت الزيتون لها تأثير ملطّف على جسد الإنسان كذلك فإن مسحة الروح القدس تعمل فى أرواحنا بكل هدوء.

إن المؤمن الذى يريد أن يعمل مشيئة الله لا يحتاج إلا أن يطيع ببساطة إرشاد الحس الروحى .. **فهو لا يحتاج أن يسأل الآخرين ولا حتى أن يسأل نفسه ، لأن المسحة التى من الله سوف تعلّمه كل شيء** .. فهى لن تتركه ولا مرة واحدة يختار لنفسه .. وكل من يريد أن يسلك بالروح يجب عليه أن يعرف ذلك .. فإننا ليس مطلوب منا أن نختار طرقنا بأنفسنا بل أن

نصغى فقط بإهتمام إلى إرشاد هذه المسحة المقدسة ، وكل ما لا ينتمى إلى هذه المسحة هو بلا شك من أفكارنا نحن الشخصية . إن الروح القدس يعمل بالإستقلال عن أفكارنا ومشاعرنا فهو يُعلن فكره لأرواحنا بغض النظر عما يدور فى أذهاننا وما يختلج فى عواطفنا .

التمييز

فى نفس هذا الفصل الكتابى يتكلم الرسول يوحنا عن وجود تعاليم مضلة وعن وجود أضداد للمسيح كثيرين .. ولكنه يؤكد لنا **أن المسحة التى من الله سوف تعلّمنا أن نفرّق بين الحق والكذب** ، بين ما هو من المسيح وما هو من أضداد المسيح .. فالمؤمنين لا يحتاجون أن يعلّمهم أحد ، لأن روح الله الساكن فيهم يعلّمهم كل شىء .

هذا هو التمييز الروحى الذى نحن فى أمسّ الحاجة إليه فى أيامنا هذه .. فلو كان التمييز بين الحق والكذب يعتمد على التفكير العقلى والبحث فى المراجع اللاهوتية وعمل المقارنات والإستنتاجات ، لكان المؤمنون الأذكياء والمفكرون هم فقط الذين لا ينخدعون .. ولكن الله لا يجعل أى اعتبار للخليقة العتيقة ، إذ أن كل ما لا ينتمى إلى الحياة الجديدة يجب أن يموت .. فالحكمة

البشرية لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تساعد الإنسان على التمييز بين الخير والشر .

لقد وضع الله روحه فى جميع المؤمنين على حد سواء بغض النظر عن ذكائهم أو صلاحهم ، وروح الله الساكن فى المؤمنين هو الذى يعلّمهم ما هو من الله وما هو ليس من الله .. ولهذا السبب فإننا أحياناً نشعر فى أعماقنا الداخلية برفض إزاء تعليم معين مع أننا قد لا تكون لدينا أسباب منطقية لهذا الرفض .. فنحن لا نستطيع تفسيره ولكن حواسنا الداخلية تُخبرنا أن هذا التعليم خطأ .. وعلى العكس ، فإننا أحياناً أخرى نسمع تعليماً مخالفاً تماماً لمعتقداتنا ، وفى نفس الوقت لا تكون لدينا الرغبة فى قبول هذا التعليم ، ولكننا نجد فى داخلنا هذا الصوت الهادىء يقول بوضوح : « هذه هى الطريق ، إسلكوا فيها » .. ومهما حاولنا أن نسوق الأدلة ضد هذا التعليم ، فإن الصوت الداخلى يظل يؤكد لنا أننا على خطأ .

من هنا نفهم أن **الحس الروحى** — وهو الأداة التى يعمل من خلالها الروح القدس — **قادر على التمييز بمفرده بين الخير والشر بدون أى مساعدة** من التفكير والاستنتاج العقلى .. ومهما كانت درجة ذكاء الإنسان منخفضة ، فطالما أنه يريد بأمانة أن يطيع الرب وأن يسلك فى طرقه ، فإن المسحة التى من الله

لابد أن تعلّمه .. ففى الأمور الروحية يتساوى أكثر الناس علماً مع أكثر الناس غباءاً بل أن الشخص المتعلم ربما يقع فى أخطاء أكثر من الشخص الجاهل ..

ما أحوجنا فى هذه الأيام إلى التمييز الروحى .. ! فإن التعاليم المضلة سريعة الإنتشار ، والمعلمون الكذبة يعرفون كيف يصوغون أكاذيبهم فى كلمات خادعة .. **فليتنا لا نثق فى التعاليم البراقة ، ولا العقول الجبارة ، ولا المعلمين البارزين ، بل نتمسك فقط بتعاليم الروح القدس التى يعلّمها لنا فى أرواحنا** حتى ننجو من الخداع فى هذا الزمن الردىء الذى يسود عليه التشويش الدينى والمظاهر الفوق طبيعية .. لنطلب من الرب حتى يعطينا أرواحاً نقية وفعَّالة ، ولنحرص دائماً أن نطيع ذلك الصوت الهادىء الذى وضعه الله فى داخلنا لتحذيرنا ، وألا ننساق وراء تعاليم الناس لئلا نقع فى الهرطقة أو فى التعصب .. **فالطاعة الهادئة** للمسحة التى لنا من الله هى وحدها تقدر أن تنقذنا من تأثير صخب العواطف أو تشويش الذهن .

التعامل مع الناس

لا يجب علينا أبداً أن ندين الناس ، ولكننا نحتاج بكل تأكيد أن نفهم الناس لكى نعرف كيف **نتعامل معهم** ، وكيف نقدم لهم المساعدة .. **إن الطريقة المعتادة لمعرفة الناس هى**

بالسؤال والبحث والملاحظة ، ولكن هذه الطرق كلها للأسف كثيراً ما تقودنا إلى نتائج خاطئة .. ونحن لا نقول أن هذه الطرق لا تفيد بالمرة ، ولكننا نريد أن نقول أنها لا تلعب إلا دوراً ثانوياً فى معرفة الناس .. أما الروح النقية فهى تستطيع أن تعطى دائماً أحكاماً صائبة .

هل نتذكر عندما كنا أطفالا ، كيف كنا نبدى تعليقات معينة عن الأشخاص الذين كنا نراهم ، وكيف أنه بمرور الوقت ثبت أن هذه الملاحظات كانت فى محلها .. والآن وقد مضت سنوات طويلة ، وإزدادت خبرتنا ومعرفتنا ومشاهداتنا ، إلا أنه يبدو أن قدرتنا على معرفة الناس قد تناقصت .. فعندما كنا أطفالاً لم تكن لدينا أسباب منطقية للتعليقات التى كنا نقولها سوى أن هذا هو ما نحس به فى قلوبنا ، وقد تأكد فيما بعد أن هذا « الإحساس » كان صائباً .. فإن تعليقاتنا فى ذلك الوقت لم تكن مبنية على الدراسة والتحرى ، كما أننا لم نكن نستطيع أن نعطى تفسيراً لها .. فما هو إذاً سبب دقة هذه التعليقات .. ؟ السبب هو أنها كانت نابعة من إحساس روحى نقى .. ومن الواضح أن هذا المثال ينطبق على الأمور الطبيعية ، ولكن على ما يبدو أننا فى أمور الله نحتاج أن نتغير ونصير مثل الأطفال لكى يكون لنا التمييز الروحى .

دعونا نتأمل فى قول الكتاب المقدس عن الرب يسوع :

« فللوقت شعر يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم فقال لهم لماذا تفكرون بهذا فى قلوبكم » (مر ٢ : ٨) .. هذا هو الحس الروحى .. فالكتاب المقدس لا يقول أن الرب يسوع شعر فى قلبه أو فكَّر فى نفسه ، كما أنه أيضاً لا يقول أن الروح القدس هو الذى أخبره .. **فإن روح الإنسان يسوع المسيح هى التى إستطاعت بسبب نقائها وحساسيتها وسموها المتناهى أن تكتشف ما كان يدور فى قلوب الناس المحيطين به** .. ولقد وجَّه إليهم الكلام بعد ذلك بناء على المعرفة التى عرفها فى روحه .. هذه هى الحالة التى يجب أن يكون عليها كل مؤمن روحى .. إن روح الله القدوس ساكن فى أرواحنا **وهو يملأها** بالحيوية ويعطيها القدرة على التمييز والمعرفة .. فكما أن روح الرب يسوع كانت نشيطة أثناء حياته على الأرض ، كذلك نحن أيضاً يجب أن تكون أرواحنا فعالة بموجب سكنى الروح القدس فيها .

الإعلان

إن معرفة الأشياء بالحس الروحى هو ما يسميه الكتاب المقدس بالإعلان .. **فالإعلان لا يعنى أكثر من أن الروح القدس يعطى للمؤمن القدرة على معرفة أمر معين بأن يوضحه**

له فى روحه .. فالمعرفة الكتابية لا يمكن أن تكون نافعة إلا عندما يعلنها الروح القدس لروح المؤمن .. فإن الله لا يعلن ذاته لعقل الإنسان ، والإنسان لا يمكن أن يعرف الله بالطرق العقلانية .. فمهما كانت درجة ذكاء الإنسان ومهما كانت كمية معلوماته عن الله ، فإن معرفة الله تظل محتجبة عنه .. وكل ما يستطيع أن يفعله هو أن يستنتج بعقله ما عسى أن يكون وراء هذا الحجاب ، ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى الحقيقة .. فطالما أنه لم « يبصر » أمور الله ، فهو حتى إذا استطاع أن « يفهمها » فإنه لن يستطيع أن « يعرفها » .. فالمسيحية بدون إعلان شخصى لا تساوى شيئاً .. فكل من يؤمن بالله يجب أن يكون له إعلان الله فى روحه ، وإلا فإن إيمانه لا يكون بالله بل بالحكمة البشرية والمثل الإنسانية .. هذا الإيمان لا يمكن أن يثبت عند الامتحان .

وأريد هنا أن أقول أن هذا الإعلان لا يكون فى شكل رؤية أو صوت من السماء ، أو حلم ، أو قوة خارجية تهز الإنسان .. فكل هذه الأشياء قد تحدث للإنسان بدون أن يحصل على إعلان .. فالإعلان يتم بهدوء فى الحس الروحى ، لا فى عجلة ولا ببطء ، وهو لايكون بصوت مسموع ، ولكنه فى نفس الوقت يحمل رسالة واضحة ..

ما أكثر الذين يسمّون أنفسهم مسيحيين ، مع أن المسيحية التى يعتنقونها ليست إلا نوعاً من الفلسفة أو المثاليات

أو التعاليم أو المظاهر الفوق طبيعية .. هذه الأشياء لا يمكن أن تعطى روحاً جديدة ولا حياة جديدة .. إن هؤلاء « المسيحيين » لا يمكن أن يكون لهم أى نفع روحى .

أما المؤمنين الذين قبلوا المسيح فى حياتهم ، فإنهم يكونوا قادرين بنعمة الله على معرفة حقيقة العالم الروحى كما لو كان ستاراً قد أزيح عنها .. فإن ما يعرفونه اليوم بأرواحهم هو أعمق بكثير من كل ما سبق أن فهموه بأذهانهم .. نعم ، فإن كل ما تعلّموه فى الماضى يبدو وكأنه قد أصبح له معنى جديداً ، وذلك لأنهم يكونوا قد أبصروه بأرواحهم .. لقد قال الرب يسوع لنيقوديموس : « إننا إنما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا » (يو ٣ : ١١) .. هذه هى المسيحية .. فنحن لا نستطيع أن نعرف الله إلا من خلال إعلان ذاته لنا فى أرواحنا ، أما المعرفة العقلية فهى لا تفيد شيئاً ولا تستطيع أن تمنح حياة .

الحياة الأبدية

نحن نعرف أن من يؤمن يحصل على حياة أبدية .. ولكن ما هو المقصود بهذه الحياة الأبدية ..؟ إنها تشير بلا شك إلى بركة مستقبلية .. ولكن ماذا تعنى هذه الحياة الأبدية فى الوقت

الحاضر؟ يقول الرب يسوع : « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » (يو ١٧ : ٣) .. **فالحياة الأبدية هى القدرة على معرفة الله ومعرفة الرب يسوع** .. نعم ، إن هذا حقيقى .. فإن كل من يؤمن بالرب ، ويحصل على حياة أبدية ، يحصل على قدرة جديدة لم تكن عنده من قبل ، بها يستطيع أن يعرف الله بالحس الروحى .

إن الحياة الأبدية ليست شعاراً ، ولكنها حقيقة تظهر نتائجها من الآن .. من ليس له حياة أبدية يستطيع أن يفكر فى الله بطريقة عقلية ، ولكنه لا تكون له معرفة شخصية بالله .. **فالإنسان لا يستطيع أن يعرف الله معرفة روحية حقيقية إلا بالولادة الجديدة** .. قد يفهم الناس الكتاب المقدس ، وقد تكون لهم دراية واسعة بالعلوم اللاهوتية ، وربما تكون لهم أيضاً غيرة فى خدمة الرب ، ومع ذلك فإن أرواحهم تكون ميتة .. فالكتاب المقدس يتحدى الإنسان قائلاً : « ألِلى عمق الله تتصل أم إلى نهاية القدير تنتهى ؟ » (أى ١١ : ٧) .. أى هل تستطيع عن طريق البحث أن تصل إلى معرفة الله .. ؟ **فالمجهود العقلى مهما كان حجمه لا يستطيع أن يوصلنا إلى معرفة الله** .. والكتاب المقدس لا يعترف إلا بنوع واحد من المعرفة ، وهى المعرفة التى تحصل عليها روح الإنسان المجدد بواسطة الحس الروحى .

أسلوب الله فى الإرشاد

كما أن المؤمن تبدأ معرفته بالله من خلال الروح ، كذلك فإنها يجب أن تستمر بعد ذلك بنفس الطريقة .. **ففى الحياة المسيحية ، كل ما لا ينبع من الإدراك الروحى لا يمكن أن تكون له أى فائدة روحية** .. فكل ما نفكر فيه أو نشعر به أو نصمم عليه ، إذا لم يكن ناتجاً عن إعلان إلهى فى الروح ، يصبح بلا قيمة فى نظر الله .. والمؤمن الذى يعتمد على الأفكار الفجائية أو الميول الطبيعية أو الرغبة الحارة أو العقل الراجح أو الاستنتاج المنطقى ، يكون قد عاد إلى إستخدام إنسانه العتيق مرة أخرى .. فهذه ليست الطريقة التى بها نعرف إرادة الله ، ولكن الله يعلن ذاته لنا فى أرواحنا ، وكل ما لا ينبع من الروح لا يمكن أن يكون من الله ولكنه يكون مجرد نشاط بشرى عادى ..

إن العقل هو مكان فهم إرادة الله ، ولكنه ليس مصدر هذه الإرادة .. فإن إرادة الله مصدرها الله نفسه ، وهو يعلن هذه الإرادة بالروح القدس لروح المؤمن ، وبعد ذلك يستطيع الإنسان الخارجى من خلال الذهن أن يفهم ما عرفته الروح ، وبهذه الطريقة يصبح فى إمكان المؤمن أن ينفذ إرادة الله .. أما إذا حاول المؤمن أن يبحث عن إرادة الله فى أفكاره ، بدلاً من أن

ينتظرها فى روحه ، **فإنه لا بد أن يقع فى الإرتباك** ، **وذلك لأن** أفكار الإنسان دائمة التغير .. فالذى يعتمد على أفكاره لا يستطيع أن يقول فى أى لحظة : « نعم ، إننى أعرف **يقيناً** أن هذه هى مشيئة الله » .. فإن هذا الإيمان اليقينى لا يمكن أن يتواجد إلا عندما يحصل الإنسان على إعلان فى روحه .

هناك نوعين من الإعلان الإلهى لأرواحنا : الإعلان المباشر والإعلان الذى نطلبه نحن .. والمقصود **بالإعلان المباشر** أن الله يكون عنده شىء معين يريد من المؤمن أن يعمله ، ولذلك فهو يقترب منه ويعلن له هذه الإرادة فى روحه ، وبعد أن يتلقى المؤمن هذا الإعلان فى روحه ، فإنه يتصرف بمقتضاه .. **أما الإعلان الذى نطلبه نحن** فالمقصود به أن المؤمن يكون له إحتياج معين ، ولذلك فهو يتقدم إلى الله بهذا الاحتياج طالباً منه أن يعطيه إجابة بخصوصه .. وهذا النوع من الإعلان هو الشائع بين المؤمنين الأحداث ، أما المؤمنين البالغين فإنهم يتعاملون أكثر مع النوع المباشر .. ولكننا يجب أن نضيف هنا إن هذه القاعدة ليست مُطلقة ولكنها هى فقط القاعدة السائدة،من هنا تأتى الصعوبة بالنسبة للمؤمنين الأحداث ، فبدلاً من أن ينكروا أفكارهم ومشاعرهم ورغباتهم ، وينتظروا أمام الرب حتى يعلن لهم عن إرادته فإنهم يفقدون صبرهم بسرعة ويتجهون إلى الإستعاضة عن إرادة الله بإرادتهم هم الشخصية ، وهكذا فإنهم يقعون تحت لوم

الضمير .. فمع أنهم يكونون صادقين فى طلب مشيئة الله ، إلا أنهم فى حقيقة الأمر يكونون سالكين بحسب أفكار عقولهم لأنهم يفتقرون إلى المعرفة الروحية .. ومن يستطيع أن يتجنب الخطأ فى حالة عدم وجود إعلان .. ؟

فالمعرفة الروحية الحقيقية هى فقط تلك المعرفة التى نحصل عليها فى أرواحنا ، أما كل ما عداها فهو معرفة عقلية .. **دعونا نتسائل قليلاً : كيف يعرف الله الأمور .. ؟ وعلى أى أساس يُصدر أحكامه .. ؟ وبأية معرفة يدير الكون ..** ؟هل الله يتحقق من الأمور بعقله كما يفعل الإنسان .. ؟ هل يحتاج أن يدرس الأشياء بعناية لكى يفهمها .. ؟ هل يعتمد على الفلسفة والمنطق والمقارنة لمعرفة الأمور .. ؟ هل يحتاج أن يستقصى الأسباب لكى يصل إلى نتيجة .. ؟ بالطبع ، لا .فإن الله لا يحتاج أن يلجأ إلى أى من هذه الأساليب المرهقة ، ولكنه يعرف الأشياء ويحكم فيها بواسطة الحس الروحى .

وفى الواقع فإن الحس الروحى هو صفة مشتركة بين كل الكائنات الروحية .. فالملائكة تعرف إرادة الله بالحس الروحى وتطيعها .. فهى لا تتخذ قرارتها بالاعتماد على التفكير والتأمل والمناقشة .. إن الفرق بين المعرفة الروحية والمعرفة العقلية هو فرق شاسع ، وعلى نوع المعرفة يتوقف النجاح الروحى أو الفشل

الروحى .. فلو كان من المفترض أن أعمال المؤمنين وخدماتهم تعتمد على الذكاء والعقلانية ، لما كان فى استطاعة أحد أن يقوم بتلك الأعمال الروحية المجيدة التى تمت فى الماضى أو التى تتم فى الحاضر ، لأن هذه الأعمال تفوق المنطق البشرى ، ولا يمكن أن يجرؤ أحد على القيام بها إلا إذا كان قد عرف مشيئة الله بحسّه الروحى .

إن كل من يسير بالقرب من الرب ، فى شركة سرية ووحدة روحية معه ، لا بد وأن يحصل فى روحه على إعلان من الله ، ويعرف بطريقة مؤكدة الأشياء المطلوبة منه .. وبالطبع فإن أعماله لن تلقى ترحيباً من الناس ، لأنهم لا يعرفون ما قد عرفه هو .. فبحسب الحكمة البشرية تكون تصرفاته بلا معنى .. **وما أكثر أن عانى المؤمنين الروحيين من مثل هذه الإنتقادات** .. ! وما أكثر أن اتهمهم حكماء هذا الدهر بالجنون .. ! وحتى اخوتهم الجسديين فإنهم أحياناً يتهمونهم بنفس هذه الاتهامات .. والسبب هو أن الحياة العتيقة سواء فى الخطاة أو فى المؤمنين الجسديين لا تستطيع أن تفهم طرق الروح القدس .. وكثيراً ما يصف المؤمنين العقلانيين إخوتهم بالتهور ، غير عالمين أن هؤلاء « المتهورين » هم فى حقيقة الأمر مؤمنين روحيين حقيقيين ، سالكين بحسب إرشاد الله لحواسهم الروحية .

ويجب علينا أن نحرص لئلا نخلط بين الحس الروحى والعاطفة .. فالمؤمنين العاطفيين كثيراً ما يصدر منهم ، فى حماسهم ، تصرفات تشبه تصرفات المؤمنين الروحيين ، إلا أن هذه التصرفات لا يكون مصدرها الحس الروحى .. والمؤمنين العقلانيين أيضاً ، كثيراً ما يبدو أن لديهم تمييزاً مثل المؤمنين الروحيين ، ولكن هذا التمييز لا يكون نابعاً من المعرفة الروحية .

فالمؤمن العقلانى لا يفرق شيئاً عن المؤمن العاطفى ، لأن كلاهما يعتمد على طاقة النفس .. أما طاقة الرّوح فهى تفوق طاقة العواطف بما لا يقاس .. فالمؤمنين الروحيين يتبررون فى الروح (١تى ٣ : ١٦) وليس فى عواطف الجسد أو إقتناعاته .. أما إذا هبطنا من مستوى الروح إلى مستوى المشاعر والمنطق ، فإننا لا بد أن نسقط وأن نلجأ إلى المنظور طلباً للمعونة ، مثلما لجأ ابراهيم إلى مصر عندما اشتد الجوع فى أرض كنعان .. فالنفس والروح لا يمكن أن يحكمان معاً .. وطالما أن الروح لم تملك بعد زمام الإنسان كله ، فإن النفس لن تكف عن المقاومة ضدها .

ولكن عندما تحصل الروح على الحياة ، وتتأيد بقوة من الروح القدس ، تتخلى النفس عن مركز القيادة وتعود إلى موقعها السليم .. وهكذا تصبح النفس فى خدمة الروح ، ويصبح الجسد

فى خدمة النفس .. الروح تتلقى الكشف والإعلان من الله ، أما النفس والجسد فإنهما يتعاونان لتنفيذ إرادة الله المعلنة للروح .. هذا هو طريق التقدم المستمر .. **ما أكثر الشوائب التى ما زالت عالقة بأرواحنا بسبب تشبعنا لمدة طويلة بالمعرفة العقلية وبالعواطف** .. إننا نحتاج أن ننكر جميع هذه ، وأن نتخلى عن كل آرائنا المتحيزة ، وإلا فإن أرواحنا لن تكون منفتحة أمام الحق .. إننا نحتاج إلى معاملات خاصة بها تتحرر حواسنا الروحية فتصبح قادرة على تلقى الأشياء من الله .

ما أبعد الفرق بين الإختبارات الروحية والاختبارات النفسية .. فالإختبارات الروحية منشأها الله ، ويتم معرفتها فى روح الإنسان .. أما الإختبارت النفسية فهى تنبع من ذات الإنسان ولا تتخذ مسارها من خلال الروح .. لذلك فإن الإنسان الغير مجدد يستطيع أن يدرس الكتاب المقدس بعمق ، ويستطيع أن يستوعب جميع التعاليم المسيحية ، وأن يخدم بحماس مستخدماً كل مواهبه وأن يجتذب المستمعين بأسلوبه البليغ ومع ذلك يظل فى المجال النفسى ، وتظل روحه ميتة .. **إن الدخول إلى ملكوت الله لا يتم بواسطة التشجيع أو الإقناع أو الإغراء ، ولكنه يتم فقط بواسطة الولادة الجديدة** .. فإن الحياة الجديدة التى تدب فى أرواحنا عند التجديد هى التى تمنحنا القدرة على معرفة الله معرفة روحية .

فهل هذا يعنى أن عقل الإنسان بلا فائدة .. ؟

بالطبع لا .. فالعقل له دور يقوم به ، ولكنه دور ثانوى .. فإننا لا ندرك الله ولا نستوعب أموره بعقولنا ، وإلا فإن الحياة الأبدية تصبح بلا معنى .. إن الحياة الأبدية أو حياة الروح هى الروح الجديدة المذكورة فى يوحنا ٣ .. بهذه الروح نستطيع أن نعرف الله .. **أما الذهن ، فإن وظيفته هى أن يشرح لإنساننا الخارجى الأمور التى عرفناها فى أرواحنا ، وأن يصوغ هذه الأمور فى شكل كلمات يفهمها الآخرون** .. والرسول بولس يؤكد فى رسائله أن الانجيل الذى بشَّر به لم يكنْ مصدره إنسان فهو لم يحصل عليه بالجملة من ذهن إنسان لكى ينقله بالتجزئة إلى أذهان الآخرين ، ولكنه حصل عليه بإعلان من الله (غل ١ : ١١، ١٢) .. قد يكون للمؤمن عقل جبار ، ولكنه لا يستطيع أن يستقى منه التعاليم الروحية .. **فالذهنْ هو أداة التوصيل وليس أداة الاستقبال للتعليم الروحى** .. فكل ما هو مطلوب من الذهن هو أن يتعاون مع الروح لكى ينقل إلى الآخرين الإعلان الذى حصل عليه بواسطة الحس الروحى .

لا يستطيع الله أن يتصل بالإنسان إلا فى الروح .. فالطريقة الوحيدة لمعرفة الله هى من خلال الحس الروحى .. فمن خلال الروح ، يستطيع الإنسان أن يحلق فى أجواء الله اللانهائية .. **فالحس الروحى هو بمثابة عقل الإنسان الداخلى** .. عندما

نقول عن روح إنسان أنها ميتة ، فنحن نعنى أن إحساسه الروحى غير متنبه لأمور الله .. وعندما نقول أن الروح تتحكم فى الإنسان كله ، فهذا معناه أن جميع أجزاء النفس وجميع أعضاء الجسد خاضعة لإرادة الله المُعلنة فى الحس الروحى .

من هنا كانت أهمية الولادة الجديدة .. فإن النفس بكل ما تمتلكه من طاقات لا تستطيع أن تصل إلى معرفة الله .. فليس هناك بديل للحس الروحى .. وإذا لم يحصل الإنسان على حياة جديدة من الله ، بها تنتعش حواسه الروحية ، فإنه يظل منفصلاً عن الله إلى الأبد .. فالولادة الجديدة ليست مجرد مصطلح ، ولا هى مجرد تغيير أخلاق ، ولكنها أمر حيوى للغاية .. **إنها حياة الله تتغلغل فى أرواحنا وتنعش حواسها** .

إنه من المستحيل للإنسان أن يُرضى الله بأعماله الحسنة ، لأن هذه الأعمال تكون نابعة من النفس ، أما إحساسه الروحى فيكون ميت بالنسبة لله .. وكذلك ايضاً فإنه من المستحيل للإنسان أن يلد نفسه ولادة جديدة ، لأنه لا يمتلك فى نفسه عناصر الحياة الجديدة .. فإذا لم يجدده الله ، لا يستطيع هو أن يجدد نفسه .. ومن جهة الخدمة ، فإنه من المستحيل للإنسان أن يخدم الله بالإعتماد على فهمه الشخصى لأن عمل الله يجب أن يعمله الله .. فما الذى يستطيعه الإنسان إذاً ؟ انه لا يستطيع

سوى أن يسلّم نفسه بين يدى الله لكى يعمل هو به .. ؟ فإن روح الإنسان تظل ميتة إلى أن يعترف بأنه ليس فيه شىء نافع ، وهكذا يأخذ مكانه مع الرب يسوع فى موته ، فيحصل ايضاً على حياته .

ما أبعد طرق الله عن طرق الإنسان .. فالإنسان لا يمكن أن يتخيل أن قبول الرب يسوع كالمخلص وحصول الروح على حياة يكون فيهما كل الكفاية ، ولكنه يصر على استبدال حواس الروح بتفكير العقل .. ولذلك فهو يظل يفكر بكل ما أوتى من قدرة على التفكير وهكذا يخترع شتى الفلسفات والديانات .. ولكن ما هو حكم الله على هذه الأمور .. ؟ « إن أفكارى ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقى يقول الرب . لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقى عن طرقكم وأفكارى عن أفكاركم » (اش ٥٥ : ٨،٩) .. فمهما كانت قدرة الإنسان على التفكير فإن أفكاره تظل أرضية ، وليست سماوية .. أما بعد التجديد ، فإن الله يعطينا القدرة على معرفة أفكاره وعلى فهم طرقه من خلال الحس الروحى لكى نقدر أن نعمل مشيئته .. ولكن ما أسرعنا فى النسيان .. ! ما أسرع أن نسينا ما تعلمناه عن التجديد .. ! يا للأسف ، لقد عدنا إلى السلوك بحسب أفكارنا ومشاعرنا ، وفى الخدمة ما زلنا نسعى إلى تحريك أذهان الناس وعواطفهم بمجهودنا وذكائنا .

إن الله يريد أن يعلّمنا أن النفس ، سواء نفوسنا أو نفوس الآخرين ، خالية تماماً من أى قدرة روحية .. ولذلك فهو يسمح لنا بالفشل والإحباط فى المجال الروحى ، لكى يحطم طاقتنا الطبيعية بكل ما تحويه من حكمة وقدرة وحماس .. وهذا الدرس لا يمكن أن نتعلمه فى يوم أو يومين ، ولكن الله يظل يعلّمه لنا مدى الحياة حتى نتيقن أن كل شىء ، بخلاف إطاعة الحس الروحى ، هو عديم النفع .

وهنا يأتى الامتحان .. أى من الاثنين نختار عندما تصطدم آراء النفس بآراء الحس الروحى .. ؟ **هذا هو المحك الذى على أساسه سيتحدد مسارنا وستتحدد القوة المسيطرة على حياتنا ..** هل هى إنساننا الخارجى أم الداخلى،هل هى إنسان الجسد أم إنسان الروح .. ففى بداية حياتنا المسيحية كانت الروح تصارع ضد شهوات الجسد أما الآن فلقد أصبحت تصارع ضد النفس .. لقد كانت الحرب قبلاً متعلقة بمسألة الخطية ، أما الآن فلم يعد الأمر متعلقاً بالخير والشر ولكن بمصدر هذا الخير ، هل هو بر الله أم هو البر الطبيعى ؟

لقد كان يهمنا قبلاًنوعية الشىء أما الآن فقد أصبح يهمنا مصدره .. إنه صراع بين الإنسان الداخلى والخارجى ، حرب بين إرادة الله ونوايا الإنسان الحسنة .. إن وظيفة الإنسان الجديد هى

أن يعلّمنا كل يوم كيف نسلك بالروح .. فإذا سلكنا دائما بالروح سوف يصبح فى إمكاننا أن نهزم الجسد تماماً ، وسوف يقدر الروح القدس أن يزودنا بالقوة فى الإنسان الباطن حتى نكف عن الإهتمام بأمور الجسد ونهتم فقط بأمور الروح وهكذا نحصل على الحياة والسلام .

٢ـ الشركة

إن علاقتنا بالعالم المادى تتم من خلال الجسد .. وعلاقتنا بالعالم الروحى تتم من خلال الروح .. فهذه العلاقة لا تتم بواسطة العقل أو العواطف ولكن بواسطة الروح وحواسها .. وإذا كنا قد فهمنا وظيفة الحس الروحى ، فإننا سوف نقدر بسهولة أن نفهم معنى الشركة بين الله والإنسان ..

فلكى يعبد الإنسان الله ويكون فى شركة معه ، يجب أن تكون له طبيعة مماثلة لطبيعته .. « الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (يو ٤ : ٢٤) .. فلا يمكن أن تكون هناك شركة بين طبيعتين مختلفتين .. لذلك فإن كلا من الإنسان الغير مجدد الذى لم تحصل روحه على حياة ، والإنسان المجدد الذى لا يستخدم روحه فى العبادة ، يكونان غير مؤهلين للدخول فى علاقة حقيقية مع الله .. فالمشاعر السامية والعواطف النبيلة لا يمكن أن تخلق علاقة شخصية بالله ولا يمكن أن تنقل الناس إلى واقع الحياة الروحية .. إذ أن علاقتنا بالله تتم فى أعمق جزء فى كياننا ، فى مكان أعمق من أفكارنا ومشاعرنا وإرادتنا ، فى حواس الروح الداخلية .

وإذا تأملنا بدقة ١كو ٢:٩ ــ ٣:٢ سوف نرى بوضوح كيف يستطيع الإنسان أن يتصل بالله وكيف يستطيع أن يعرف أمور الله من خلال الحس الروحى .

قلب الإنسان

ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال **(قلب)** إنسان ، ما أعده الله للذين يحبونه » (١كو ٢ : ٩) .

هذه الآية تتكلم عن الله وعن أمور الله .. **فإن ما أعده الله لا تستطيع حواس الإنسان الجسدية أن تلمسه ، ولا يستطيع قلبه أن يدركه** .. إن « قلب الإنسان » يشمل ضمن أشياء أخرى عقل الإنسان وفهمه وذكاءه .. إن عقل الإنسان لا يستطيع أن يستوعب أعمال الله ، لأنها تفوق إدراكه .. ولذلك فإنه من الواضح أن من يريد أن يعرف الله لا يستطيع أن يفعل ذلك بالإعتماد على فهمه وفكره .

الروح القدس

« فأعلنه الله لنا نحن بروحه ، لأن **الروح** يفحص كل شيء حتى أعماق الله » (١كو ٢ : ١٠) .

من هنا يتضح لنا أن الروح القدس هو الذى يفحص كل شيء وليس ذهننا هو الذى يستوعب كل شيء .. **إن الروح القدس هو وحده الذى يعرف أعماق الله .. إنه يعرف ما لا**

يعرفه الإنسان .. وهو بإحساسه الروحى يفحص كل شيء .. وهكذا يستطيع الله أن يعلن لنا من خلاله ما لم يخطر أبداً على تصورات قلوبنا .. هذا الإعلان لا نحصل عليه بكثرة التفكير ، لأن قلوبنا لا تستطيع حتى أن تتخيله ، ولكنه إعلان مستقل عن كل مجهودات أذهاننا .

وفى العددين التاليين نستطيع أن نرى كيف يعلن الله ذاته :

روح الانسان

« لأن مَن مِن الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه . هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله . ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله » (١كو ٢ : ١١، ١٢) .

لا يستطيع أحد أن يعرف أفكار الإنسان إلا روح ذلك الإنسان ، وكذلك أيضاً فإن أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله .. فإن روح الإنسان وروح الله يعرفان الأمور بطريقة مباشرة ، وليس عن طريق البحث والإستنتاج .. إنهما يفهمان الأشياء بواسطة الحس الروحى .. **وحيث أن روح الله هو وحده الذى يعرف أمور الله ، فإننا نحتاج أن نأخذ روح الله لكى نعرف هذه الأمور** .. إن روح العالم منفصلة عن الله ، إنها روح ميتة ، لا تستطيع أن تصنع علاقة مع الله .. أما الروح القدس فإنه ،

على العكس ، يفهم أمور الله .. **وعندما نعرف فى أرواحنا الأشياء** التى يعرفها الروح القدس ، **فإننا نكون نحن أيضاً قد عرفنا أمور** الله .. فإننا قد أخذنا « الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله »

فما هى الطريقة إذاً التى بها نعرف هذه الأمور .. ؟ يقول عدد ١١ أننا نعرف بواسطة الروح .. **فالروح القدس يكشف لأرواحنا عن الأشياء التى يعرفها هو لكى نعرفها نحن أيضاً فى إدراكنا الداخلى** .. وعندما يعلن الروح القدس أمور الله فهو لا يعلنها لعقولنا ولا لأى عضو آخر فينا ولكنه يعلنها لأرواحنا .. فإن الله يعرف أن روح الإنسان هى المكان الوحيد الذى يستطيع أن يفهم أمور الإنسان وأيضاً أمور الله .. فإن هذه الأشياء لا يمكن أن تُعرف بواسطة العقل .. فمع أن العقل يستطيع أن يفكر وأن يتخيل أشياء كثيرة إلا أنه لا يستطيع أن **يعرف** الأشياء على حقيقتها .

من هنا نستطيع أن نفهم قيمة الروح المجددة فى نظر الله .. فقبل الولادة الجديدة ، كانت روح الإنسان ميتة ، ولم تكن هناك طريقة بها يستطيع الله أن يعلن فكره للإنسان .. فإن اكثر العقول ذكاءاً تعجز عن معرفة أفكار الله .. **لا يستطيع الله أن يلتقى بالإنسان ، وأيضاً لا يستطيع الإنسان أن يعبد الله إلا من خلال الروح المجددة** .. فبدون هذه الروح لا يمكن أن يكون هناك أى التقاء بين الله والإنسان .. ولذلك فإن أول خطوة لإنشاء علاقة بين الله والإنسان هى إعطاء حياة للروح .

إن الإنسان يتمتع بإرادة حرة ، ولذلك فهو من حقه أن يقرر جميع أموره .. وهذا يفسر لنا سبب إستمرار تعرضه للتجارب حتى بعد الولادة الجديدة .. فهو إما بسبب غبائه وإما بسبب عناده لا يعطى للروح مكانتها الصحيحة .. وهكذا فإنه يظل سالكاً بأفكاره أو بعواطفه فى الوقت الذى فيه لا يقبل الله أن يتعامل مع الإنسان إلا من خلال روحه .. فهو كثيراً ما يتجاهل تماماً صوت الروح ، ويتمسك بما يراه هو أنه منطقى أو جميل أو ممتع أو مستساغ .. وحتى إذا كانت عنده الرغبة فى عمل مشيئة الله ، فإنه غالباً ما ينقاد إلى أى فكرة متطرفة على إعتبار أنها هى فكر الله ، أو ينحاز إلى اكثر الافكار قبولاً لدى العقل ، غير عالم أن فكر الروح القدس المعلن إلى حسه الروحى هو الفكر الوحيد الذى يجب عليه أن يطيعه .. ولكنه للأسف لا تكون لديه القدرة على تمييز صوت الروح بسبب ضجيج المشاعر وهكذا يصبح السلوك بالروح شيئاً إستثنائياً فى الحياة بدلاً من أن يكون القاعدة الدائمة .

واذا كانت المعرفة المبدئية لمشيئة الله بهذه الصعوبة فكيف سنقدر أن نحصل على إعلان أعمق .. ! كيف سنقدر أن نعرف فى أرواحنا قصد الله الشامل إلى منتهى الزمان .. ! كيف سنقدر أن نعرف الحرب الروحية على حقيقتها ونعرف تعاليم الكتاب بكل عمقها .. ! فإن عبادتنا سوف تظل محصورة فى إطار ما نظنه أنه

هو الأفضل أو ما تمليه علينا مشاعرنا فى ذات اللحظة .. أما الشركة مع الله فى الروح فإنها تكون منعدمة تماماً .

فعلينا أن نعرف أن الروح القدس هو وحده الذى يعرف أمور الله ، وهو وحده الذى يستطيع أن ينقل هذه المعرفة إلى الإنسان .. ولكن لكى يحصل الإنسان على هذه المعرفة يجب عليه أن يتلقاها بالأسلوب الصحيح أى بالحس الروحى **فإن التلاقى بين الروحين ــ روح الله وروح الإنسان ــ هو الذى يعطى للإنسان الإمكانية أن يعرف فكر الله** .

« نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلّمها حكمة إنسانية بل بما يعلّمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات » (١كو ٢ : ١٣) .

هنا يتكلم الرسول بولس عن الطريقة التى بها ينقل إلى الآخرين أمور الله التى عرفها هو فى حسه الروحى .. فالذى يعرف أمور الله يكون مسئولاً أن يوصلها للآخرين .. ولكن الرسول بولس يقول هنا أنه لا يفعل ذلك بإستخدام كلمات الحكمة البشرية ، لأن الحكمة البشرية مصدرها العقل البشرى ولذلك فهى لا تستطيع أن تنقل أمور الله الموجودة فى الروح .

لقد كان بولس يتمتع بحكمة إنسانية عالية ، وكانت لديه القدرة على صياغة العبارات الجميلة وإلقاء العظات الجذابة المليئة

بالصور البلاغية ، وكان يعرف كيف يجعل مستمعيه يفهمون ما يقول .. ولكنه رغم كل ذلك ، كان يرفض أن يستخدم الكلمات النابعة من الحكمة الإنسانية .. من هنا نفهم أن الذهن البشرى ليس فقط غير مؤهل **لإستقبال** أمور الله ولكنه أيضاً غير نافع **لنقل** هذه المعرفة للآخرين .

فالرسول بولس يقدم أمور الله فى كلمات من صياغة الروح القدس .. إنه يتلقى التعليم من الله بالحواس الروحية ، وعندما يريد أن ينقله إلى الآخرين فانه يحتاج أيضاً أن يستخدم كلمات روحية .. فالحس الروحى يعطى الإنسان ليس فقط **معلنات** الروح القدس ، بل أيضاً **الكلمات** التى بها يوصل هذه المعلنات إلى الآخرين .

فكثيراً ما يحدث أن المؤمن يحاول أن ينقل إلى الآخرين شيئاً أعلنه الله له بكل وضوح ، ولكنه لا يجد الكلمات التى تعبر بدقة عن المعنى .. ما هو السبب ؟ السبب هو أن روحه لم تحصل على الكلمات .. بينما فى أحيان أخرى ، أثناء إنتظاره أمام الرب ، قد يشعر المؤمن بشىء ينبع فى محور كيانه .. قد يكون هذا الشىء مجرد كلمات قليلة ، ولكن هذه الكلمات القليلة تكون كافية لنقل المعلنات الروحية التى كشفها له الله إلى الآخرين .

هذه الاختبارات تؤكد أهمية « الكلمات » المعطاة من الروح القدس .. فهناك نوعين من « الكلمات » : نوع طبيعى ، ونوع معطى من الروح .. هذا هو النوع المذكور فى أع ٢ : ٤ والذى لا غنى عنه فى الخدمة الروحية .. **فمهما كانت كلماتنا الطبيعية مُعبِّرة ، فإنها تعجز عن توصيل أمور الله إلى الآخرين** .. قد نظن أننا قد تكلمنا حسناً ، ولكننا فى الواقع لا نكون قد نجحنا فى التعبير بدقة عن فكر الروح القدس .. فالكلمات الروحية ـــ أى الكلمات التى نحصل عليها فى أرواحنا ـــ هى وحدها التى تستطيع أن تنقل المعرفة الروحية .

فإذا تثقلت أرواحنا برسالة من الرب ، وكانت مثل نار تشتعل فى داخلنا ، ومع ذلك لم تكن لدينا الوسيلة التى بها نعبِّر عن هذا التثقل ، يجب علينا أن ننتظر حتى يعطينا الروح القدس الكلمات التى بها نعلن رسالة الرب .. أما إذا تسرعنا وإستخدمنا كلمات الحكمة البشرية بدلاً من أن ننتظر الكلمات التى من روح الله ، فإننا لن نستطيع أن نحصل على أى نتائج روحية .. **فالكلام المبنى على الحكمة البشرية ينتج عنه فقط إقتناعاً عقلياً أما الكلمات الروحية فهى وحدها التى تستطيع أن تنقل المعانى الروحية** .

إن ما يريد الرب أن يعلِّمنا إياه اليوم هو **أننا لا نستطيع أن**

نحقق الأهداف الروحية إلا بإستخدام وسائل روحية .. فإن الجسد لا يمكن أن يتحول إلى روح .. وإذا حاولنا أن نصل إلى أهدافنا الروحية بالإعتماد على أذهاننا وعواطفنا ، فإننا نكون كمن يحاول أن يحصل على مياه عذبة من ينبوع مياه مرّة .. فإن كل أمور الله ـــ سواء معرفة مشيئته أو حفظ وصاياه أو توصيل كلامه ـــ هذه كلها لا يمكن أن تتم إلا إذا كانت نابعة من علاقة حقيقية مع الله فى الروح .. أما كل ما يتم من خلال أفكارنا وأساليبنا الخاصة ، فإنه يكون فى نظر الله ميتاً .

الإنسان الطبيعى والإنسان الروحى

« ولكن الإنسان الطبيعى **لا يقبل** ما لروح الله لأنه عنده جهالة ، ولا يقدر أن **يعرفه** لأنه إنما يُحكم فيه روحياً » (١كو ٢ : ١٤) .

هذا معناه أن الإنسان الطبيعى لا يستطيع أن يأخذ عطايا روح الله ، لأنه يعتبرها جهالة وهو أيضاً لا يستطيع أن يفهمها لأن هذه الأمور لا يمكن أن تُدرك إلا بواسطة الروح .

إن الإنسان الطبيعى أو النفسانى هو الإنسان الذى لم يولد بعد ولادة جديدة ، وبالتالى لا يمتلك روحاً جديدة وهذا الإنسان تكون حواسه الروحية ميتة بالنسبة لله ، فهو لا يمتلك إلا حواساً

نفسية .. وعلى هذا الأساس فإنه يستطيع أن يحدد ما يريده بإستخدام العقل والعاطفة ، ولكن لأن روحه لم تتجدد بعد ، فهو لا يستطيع أن يقبل أمور الله .. فمع أنه يمتلك القدرة على التفكير والإستنتاج إلا أنه يفتقر إلى الحس الروحى الذى من خلاله يُعلن الله أموره إلى روح الإنسان .. فإن جميع قدرات الإنسان الطبيعى مهما سمت لا تستطيع أى منها أن تقوم بوظيفة الحس الروحى .. إذ أن الإنسان الطبيعى ميت بالنسبة لله ، وبالتالى فهو لا يستطيع أن يستقبل أمور الله .. فإن ذكاء الإنسان لا يقل فساداً عن شهواته ، لأن كلاهما عاجز عن الوصول إلى الله .

وحتى الإنسان المؤمن ، إذا حاول أن يتعامل مع الله بإستخدام عقله وفطنته بدلاً من أن يستخدم روحه الجديدة ، فإنه سوف يعجز هو أيضاً عن معرفة أمور الله المعرفة الحقيقية .. فإن أعضاءنا الطبيعية لا تتغير وظيفتها بعد التجديد : الذهن يظل هو الذهن ، والإرادة تظل هى الإرادة ، لا يستطيع أى منهما أن يكتسب القدرة على الاتصال بالله .

والإنسان الطبيعى لا يكون فقط عاجزاً عن إستيعاب أمور الله ، بل أكثر من ذلك فإنه يعتبرها جهالة .. **فبحسب مقاييس الفكر البشرى تُعتبر أمور الروح جهالة لأنها تكون مضادة للمنطق ومتعارضة مع الحكمة البشرية** .. فالعقل يحب كل ما

هو منطقى وكل ما هو مستساغ .. ولكن الله لا يخضع لقوانين البشر ، ولذلك فإن أعماله تكون جهالة فى نظر الإنسان الطبيعى .. والجهالة المذكورة فى هذا الاصحاح تشير إلى صليب ربنا يسوع المسيح .. ونحن نعرف أن الصليب لا يشمل فقط موت المسيح لأجلنا ، ولكنه يشمل أيضاً موتنا نحن معه .. فكل ما نمتلكه بالطبيعة يجب أن يجتاز الصليب .. هذه الفكرة قد يقبلها الذهن نظرياً ، ولكنه لايمكن أن يقبلها عملياً .

وحيث أن الإنسان الطبيعى لا يقبل فكرة الصليب ، فهو بالتالى لن يستطيع أن يعرف مضمونها .. فالقبول لا بد أن يسبق المعرفة .. إن القبول أو عدم القبول يتوقف على ما إذا كانت الروح قد حصلت على حياة أم لا .. أما القدرة على المعرفة فهى تتوقف على نشاط الحس الروحى .. فالروح يجب أن تحصل على حياة حتى يستطيع الإنسان أن يقبل أمور الله ، وعندما تحصل الروح على حياة يأخذ الإنسان أيضاً القدرة على إستيعاب الأمور الإلهية بواسطة الحس الروحى .. فإن أمور الإنسان لا يعرفها أحد إلا روح الإنسان ، كذلك أيضاً أمور الله لا يمكن أن يعرفها إلا من أخذ روحاً جديدة من الله يستطيع بواسطتها أن يقوم بعملية التمييز .

ويذكر لنا الرسول بولس ما هو السبب الذى يجعل

الإنسان الطبيعى غير قادر على قبول وإستيعاب أمور الله ، فيقول « لأن هذه الأمور إنما تُدرك بالروح » .. ألا نلاحظ إذاً كيف أن الروح القدس يؤكد لنا مراراً وتكراراً أن روح الإنسان هى المكان الوحيد الذى يمكن أن تتم فيه العلاقة مع الله .. ؟

إن كل جزء فى الإنسان له وظيفته .. **فالروح وظفيتها هى معرفة الأمور السماوية** .. ونحن هنا لا نقلل من قيمة وظائف النفس ، فالنفس لها وظائفها الهامة ، إلا أنها هنا يجب أن تكون خاضعة للروح لا مُسيطرة عليها .. فالعقل يجب أن يخضع لسيادة الروح لكى يفهم مشيئة الله المعلنة لها بدلاً من أن يعتنق أفكاره الذاتية ويطالب الإنسان بتنفيذها .. وكذلك أيضاً العاطفة يجب أن تسير وفق إتجاهات الروح ، فتحب ما تحبه الروح وتكره ما تكرهه الروح .. والإرادة أيضاً يجب أن تكون متفقة مع ما يعلنه الله للروح ، فلا يكون لها أى ميول مخالفة لإرادة الله .. فعندما تلتزم وظائف النفس بالمكانة الثانية ، يصبح فى إستطاعة المؤمن أن يحقق تقدماً سريعاً .. ولكن للأسف فإن مؤمنين كثيرين يعطونها المكانة الأولى ، وبذلك يحرمون الروح من ممارسة وظيفتها ويحرمون أنفسهم من التقدم فى الطريق الروحى .

«وأما الروحى فيحكم فى كل شىء ولا يُحكم فيه من أحد» (١كو ٢ : ١٥) .. إن الإنسان الروحى هو إنسان

تتحكم روحه فى كل شىء .. فهى من خلال حساسيتها المرهفة تستطيع أن تؤدى وظائفها فى هدوء بعيداً عن كل مؤثرات الذهن والعواطف والإرادة .

ولماذا يستطيع الإنسان الروحى أن يحكم فى جميع الأمور؟ لأن روحه تعتمد على الروح القدس فى الحصول على المعرفة .. ولماذا لا يُحكم فيه من أحد .. ؟ لأن لا أحد يعرف الأمور التى يُعرِّفها له الروح القدس .. **فلو كانت المعرفة عند المؤمنين تعتمد على الذكاء ، لكان أكثر الناس ذكاء وتعليماً هم أقدر الناس على الحكم السليم** .. وحتى هؤلاء فإن أى شخص أذكى منهم سوف يكون قادراً أن يحكم فيهم ، لأنه سوف يفهم بسهولة مسار أفكارهم .. أما المعرفة الروحية ، فهى تعتمد على الحس الروحى .. فليست هناك حدوداً للمعرفة التى يستطيع المؤمن أن يحصل عليها عندما يكون روحياً وتكون له حواس روحية مرهفة .. قد يكون ذكاءه منخفضاً ، ولكن الروح القدس يكون قادراً على الأخذ بيده وتوصيله إلى الواقع الروحى ، وروحه تكون قادرة على إنارة ذهنه .. نعم إن إسلوب الروح القدس فى إعلان ذاته يفوق جميع توقعات الإنسان .

« لأنه من عرف فكر الرب فيعلّمه ؟ » (١كو ٢ : ١٦) .. هنا تواجهنا مشكلة .. فليس هناك فى العالم كله من يستطيع

أن يعرف فكر الرب ، لأن جميع الناس نفسانيين .. فإن الطريقة الوحيدة لمعرفة الله هى بواسطة الحس الروحى .. لذلك فإن الشخص الذى تكون روحه ميتة لا يقدر أن يعرف فكر الله ، ولنفس السبب فهو لا يقدر أيضاً أن يحكم فى الأشخاص الروحيين الخاضعين بالكامل لله .

« أما نحن ... » وهنا نجد اختلافاً بين هذه الفئة من الناس وبين الفئة السابقة .. وكلمة « نحن » هنا تشمل جميع المؤمنين سواء الجسديين منهم أو الروحيين .. « أما نحن فلنا فكر المسيح » (١كو ٢ : ١٦) .. فنحن المؤمنين ، سواء كنا أطفالاً أو بالغين نمتلك فكر المسيح ونعرف أفكاره ، وذلك لأن أرواحنا قد حصلت على حياة ، وبالتالى فإننا نعرف الأشياء التى أعدها الله لنا (١كو ٢ : ٩) .

المؤمن الجسدى والمؤمن الروحى

« وأنا أيها الإخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين كأطفال فى المسيح . سقيتكم لبناً لا طعاماً ، لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضاً لا تستطيعون لأنكم بعد جسديون » (١كو ٣ : ١ــ٣) .

هذه الأعداد ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالأعداد السابقة ، فهى تكملة لنفس الموضوع السابق المختص بروح الإنسان .. ونحن نعرف أن تقسيم الكتاب المقدس إلى إصحاحات وأعداد ليس بإعلان من الروح القدس ولكنه شيء من صنع الناس لأجل تسهيل القراءة .. وفى الواقع فإن الأعداد الأولى من ١كو ٣ هى إستمرار لنهاية الإصحاح السابق .

لقد كانت لبولس حواس روحية حادة .. فلقد كان على دراية بحالة الأشخاص الذين سوف يكتب إليهم ، هل هم روحيين أم جسديين ، هل هم تحت سيطرة الروح تماماً أم أنهم كثيراً ما يسيطر عليهم الجسد .. ولذلك فهو لم يكن يتجاهل حالة قرّائه وقدرتهم على الفهم ، ولم يكن يصب عليهم أفكاره بطريقة عشوائية لمجرد أنها أفكار روحية .. بل كان يحرص فقط أن ينقل الأمور الروحية إلى الروحيين .. فإن كلامه لم يكن يتوقف على مدى **معرفته** هو ، ولكن على مدى قدرة **قرّائه** على الإستيعاب ، فإن هدفه لم يكن هو التفاخر بالمعرفة .

لقد كان الرسول بولس يمتلك المعرفة الروحية وايضاً الصياغة الروحية ، ولذلك فقد كان يعرف كيف يتعامل مع المؤمنين بكل أنواعهم .. فليست كل العبارات التى تتكلم عن أمور الله هى عبارات روحية ، ولكن العبارات الروحية هى

العبارات التى يُعلِّمها الروح القدس لأرواحنا .. وليس من الضرورى أن تكون فى شكل كلمات عميقة ، بل إنها فى الواقع قد تكون كلمات معتادة ومألوفة جداً ، إلا أنها تكون من صياغة الروح القدس ، ولذلك فإنها عند النطق بها ، يكون لها تأثير روحى عظيم .

إن ما يكتبه الرسول فى هذين العددين وفى العدد ١٥ من الإصحاح السابق يجيب على التساؤل المشهور : إذا كانت روح الإنسان تعرف أمور الإنسان ، وإذا كان الإنسان الروحى يحكم فى كل شىء ، فلماذا هناك مؤمنين كثيرين قد تجددت أرواحهم ومع ذلك لا يشعرون أنهم يمتلكون روحاً ولا يستطيعون أن يميزوا أمور الله العميقة من خلال ارواحهم ؟ السبب هو أن الإنسان « **الروحى يحكم فى كل شىء** » (ع ١٥) .. فمع أن كل المؤمنين يمتلكون أرواحاً مجددة إلا أن ليس كل المؤمنين روحيين ، فالكثيرين منهم لا يزالوا جسديين .. لقد أخذوا حواس روحية حية ولكنهم إذا لم يعطوها مكانها الصحيح وإذا لم يهيئوا لها الفرصة للعمل فإنها سوف تُخمد وتصبح غير قادرة على الإتصال بالله ولا على معرفة ما ينبغى أن تعرفه .

إن المؤمنين الروحيين لا يسلكون بحسب حياة النفس لأنهم قد سلّموها للصليب هى وكل قدراتها ، فأصبحت تشغل مكان

الخضوع ، وهكذا أصبح الحس الروحى قادراً على تلقى الإعلان من الله بحرية ، وبعد ذلك تأتى العاطفة والعقل والإرداة وتتجاوب مع هذا الاعلان .

ليس هكذا الحال مع المؤمنين الجسديين .. فعلى الرغم من أن أمامهم الفرصة أن يصبحوا روحيين إلا أنهم يظلوا مرتبطين بالجسد .. فإن شهوات الجسد تظل فيهم بكامل قوتها وتدفعهم إلى الوقوع فى الخطية ، وكذلك فإن ذهنهم الجسدى يظل ممتلئاً بالأفكار والتخطيطات الذاتية ، وعواطفهم تظل تنجذب إلى كافة الرغبات والميول الجسدية ، وإرادتهم تستمر فى الإنقياد إلى الأحكام والآراء الأرضية .. وهكذا فإنهم يكونوا منشغلين بعمل ما يمليه عليهم الجسد إلى درجة أنه لايصبح لديهم الوقت ولا الإستعداد للإصغاء إلى صوت الروح .. وحيث أن هذا الصوت يكون عادة هادئاً للغاية ، فإنه لا يمكن سماعه إلا بالإصغاء الدقيق بعد تسكيت كل صوت آخر .. فكيف يمكن إذاً للمؤمن أن يسمعه إذا كانت كل أجزاء جسده فى غاية النشاط ؟ إن مثل هذا المؤمن الواقع تحت سيطرة الجسد تصبح روحه متبلدة ويصبح غير قادر على تقبل الطعام القوى .

والكتاب المقدس يشبّه المؤمن الحديث التجديد بالطفل

الرضيع .. فإن الحياة الجديدة التى يمتلكها فى روحه تكون ضعيفة جداً مثل الطفل الحديث الولادة .. وبالطبع فليس هناك خطأ فى أن يكون الإنسان طفلاً طالما إنه لا يظل هكذا أطول مما ينبغى .. فإن كل مؤمن بالغ يبدأ كطفل ، ولكنه إذا ظل هكذا طويلاً ولم تحقق روحه أى تقدم عما كانت عليه يوم أن حصل على التجديد منذ عدة سنوات ، فإن ذلك يدل على وجود خطأ جسيم .

إن روح الإنسان قابلة للنمو ، وحواسها قابلة لإكتساب المزيد من القوة .. فالشخص الحديث الإيمان يكون مثل الطفل الحديث الولادة الغير قادر بعد على التحكم فى نفسه وعلى إستخدام أعصابه .. وتكون حياته الروحية أشبه بجمرة صغيرة ، فإن حواسه الروحية تكون ضعيفة للغاية وغير فعّالة .. ولكن الطفل يجب أن ينمو يومياً ، ومعرفته يجب أن تزداد بإستمرار إلى أن يصبح كامل الوعى وقادراً على إستخدام كل حواسه بكفاءة .

هكذا أيضاً يجب أن يكون المؤمن .. فإنه يحتاج بعد التجديد أن يدرب حواسه الروحية تدريجياً ، ومع كل تدريب يزداد فى الخبرة والمعرفة والقامة الروحية .. فكما أن حواس الإنسان لا تولد كاملة النضج ، كذلك ايضاً فإن الحواس الروحية فى المؤمن لا تولد على درجة عالية من الحساسية .

ولكن هذا كله لا يعنى أن المؤمنين النفسانيين الذين يظلون أطفالاً لمدة طويلة لا يختبرون أى إنتصار خارجى على الخطية ولا يزدادون فى المعرفة الكتابية ولا يبذلون أى مجهود فى خدمة الرب ولا يحصلون على مواهب من الروح القدس .. كلا ، فإن المؤمنين فى كورنثوس قد حصلوا على كل هذه الأشياء ، فقد كانوا أغنياء فى المسيح فى كل كلمة وكل علم ولم يكونوا ناقصين فى أى موهبة روحية (١كو ١ : ٥ــ٧) .. فبحسب النظرة البشرية ، أليست هذه علامات تدل على النمو ؟ إننا قد نعتبر أن مؤمنى كورنثوس كانوا فى منتهى الروحانية ، إلا أن الرسول بولس اعتبرهم **أطفالاً ووصفهم بأنهم اشخاص جسديون** .

فلماذا لم تُعتبر المواهب والكلام والمعرفة أنها نمو ؟ هنا نستطيع أن نكتشف حقيقة فى غاية الأهمية وهى أنه على الرغم من أن مؤمنى كورنثوس قد نموا فى هذه العطايا الخارجية إلا أنهم فشلوا فى أن ينموا فى أرواحهم ، وهكذا لم تتقوَّ حواسهم الروحية .. إن النمو فى فصاحة الكلام وفى المعرفة الكتابية وفى المواهب الروحية لا يُعتبر نمواً فى الحياة الروحية ! فإن روح المؤمن ـــ وهى الجزء القادر على الإتصال بالله ـــ إذا لم تصبح اكثر قدرة وكفاءة فإن الله يعتبر أن هذا المؤمن لم **ينمُو** على الاطلاق !

ما اكثر المؤمنين فى الوقت الحالى الذين ينمون فى الإتجاه

الخطأ ! فالكثيرين يظنون أنهم بعد حصولهم على الخلاص يجب عليهم أن يسعوا للوصول إلى مستوى أعلى فى المعرفة الكتابية وكفاءة أفضل فى الوعظ وقدر أكبر من المواهب الروحية ، غير مدركين أن أرواحهم هى التى ينبغى أن تتقدم .. فالكلام والمعرفة والمواهب ليست إلا أموراً خارجية ، أما الحس الروحى فهو شيء داخلى .

كم هو محزن منظر ذلك المؤمن الذى يترك روحه تستمر فى مرحلة الطفولة ، وفى نفس الوقت يملأ حياته النفسية بالكلام والمعرفة والمواهب .. هذه الأشياء ثمينة حقاً ، ولكن كيف يمكن أن تُقارن قيمتها بقيمة الروح ؟ إن ما خلقه الله فينا بالولادة الجديدة هو هذه الروح (أو الحياة الروحية) ، وبالتالى فإن ما ينبغى أن ينمو ويصل إلى النضج الكامل هو ايضاً هذه الروح .

لذلك فإننا إذا كنا وقعنا فى هذا الخطأ الكبير وإتجهنا إلى تغذية حياة النفس بدلاً من السعى نحو نمو حياة الروح وحواسها فإننا لا نكون قد حققنا أى تقدم فى نظر الله .. إن الله يعرف قيمة أرواحنا ، ولذلك فهو يهتم بنموها .. ومهما إكتسبت أذهاننا وعواطفنا وإرادتنا من قدرات عن طريق الكلام والمعرفة والمواهب ، فإن هذه كلها تكون بلا قيمة فى نظر الله إذا كانت أرواحنا لا تنمو .

إننا نتوقع يومياً أن نحصل على مزيد من القوة والمعرفة والمواهب والفصاحة ، ولكن الكتاب المقدس يؤكد أننا حتى إذا حصلنا على مزيد من هذه الأشياء فإن هذا لا يعنى أننا قد تقدمنا فى الحياة الروحية ، بل على العكس فإن مسيرتنا الروحية قد تكون متوقفة .

هذا ما يقوله الرسول بولس بصراحة لمؤمنى كورنثوس « لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن ايضاً لا تستطيعون » (١كو ٣:٢) .. فما هو الشيء الذى لم يكونوا بعد يستطيعونه .. ؟ لم يكونوا يستطيعون بعد أن يخدموا الله بأرواحهم وأن يعرفوه ويتلقوا إعلانه فى أرواحهم .. إنه أمر طبيعى أن لا يكون فى إستطاعتهم أن يفعلوا ذلك عند بداية إيمانهم بالرب ، ولكن الآن بعد مرور عدة سنوات ، وعلى الرغم من أنهم قد أصبحوا أغنياء فى الكلام والعلم والمواهب ، فإنهم ما زالوا أيضاً لا يستطيعون .. وكلمة « بل الآن أيضاً » تعنى أنه مع كل ما إكتسبوه من مواهب خارجية ، إلا أن حياتهم الداخلية لم تحقق أى تقدم منذ بداية إيمانهم .. إن التقدم الحقيقى يُقاس بمدى نمو الروح ونمو حواسها وكل ما هو عدا ذلك ينتمى إلى الجسد ، هذا ما يجب أن نفهمه ونعيه جيداً .

إنه من المؤسف أن المؤمنين اليوم يتقدمون فى جميع المجالات إلا مجال الروح .. فبعد إيمانهم بالرب بعدة سنوات تظل نفس

الشكوى تصدر منهم . « نحن لا نشعر بوجود الروح » .. إن هناك فرقاً شاسعاً بين فكرنا وفكر الله .. فنحن قد ننجح ـــ مثل مؤمنى كورنثوس ـــ فى إكتساب الكثير مما يُسمى بالمعرفة الروحية بإستخدام ذكائنا وعقولنا ، ولكن للأسف فإن إزدياد المعرفة العقلية لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يُغنى عن نضج الحواس الروحية .. ففى نظر الله نظل بلا تغيير .. إن النمو الذى يريد الله أن يراه فينا ليس هو نمو الإنسان الخارجى بل نمو الإنسان الداخلى وحواسه .. إنه يريد أن الحياة الجديدة التى وضعها فينا تتسع ، وأن كل ما ينتمى الى الخليقة العتيقة يتضاءل.

إن سبب فشل المؤمنين فى بلوغ الروحانية هو تأثرهم الشديد بالجسد .. فلا يمكن للمؤمن أن يعرف أمور الله العميقة إلا إذا كانت حواسه الروحية حية وكان يتمتع بشركة مستمرة مع الله .. أما إذا كان الحس الروحى ضعيفاً ، فهل سيقدر أن يتناول طعاماً غير اللبن .. ؟ فاللبن هو غذاء قد سبق هضمه ، وهكذا فإن المؤمن النفسانى لا يستطيع أن يحتفظ بعلاقة صافية مع الله فى الروح،ولذلك فهو يعتمد على المؤمنين الآخرين الأكثر تقدماً لاستقاء الأمور الخاصة بالله .. فالمؤمنين الناضجين يتصلون بالله من خلال حواسهم الروحية ، ثم يقومون بتحويل ما تعلموه إلى لبن من أجل الذين لا يزالون أطفالاً فى المسيح .. إن الله يسمح بذلك فى حياة المؤمن المبتدىء ، ولكنه لا يُسرّ بأن يظل أولاده

أغبياء وغير قادرين على الإتصال المباشر به .. فالمؤمن الذى يتناول اللبن يدل على أنه غير قادر بعد على الإتصال بالله مباشرة وأنه لا يزال يعتمد على الآخرين لمعرفة ما يريد الله أن يقوله له .. أما المؤمن الناضج فإن حواسه الروحية تكون مدربة على التمييز بين الخير والشر (انظر عب ٥ : ١٣، ١٤) .

إننا لا نستطيع أن نكون نافعين روحياً إذا كنا نمتلك الكثير من الأفكار ولكننا نفتقر إلى القدرة على الاتصال بالله وعلى معرفة أموره بواسطة الحس الروحى .. فالمؤمنين فى كورنثوس كانوا متقدمين فى الكلام ، والمعرفة والمواهب ولكن كيف كانت حياتهم الروحية ؟ لقد كانت شبه متوقفة تماماً .. فالكنيسة فى كورنثوس كانت كنيسة جسدية ، لأن كل ما كان عندها كان موجوداً فى الذهن فقط .

وفى وقتنا الحالى يقع الكثيرون من أولاد الله فى نفس الخطأ الذى وقع فيه مؤمنو كورنثوس .. فمع أن كلمات الرب هى روح وحياة إلا أن هؤلاء المؤمنين لا يتعاملون معها من هذا المنطلق.. فإنهم يناقشون المسائل اللاهوتية بأذهانهم الجامدة ويبحثون عن المعانى الغامضة فى الكتاب المقدس بهدف تقديم أفضل التفاسير لها .. إنهم بهذه الطريقة يُشبعون شهوتهم للمعرفة ، ثم ينقلون ما توصلوا إليه إلى الآخرين عن طريق الكتابة أو الوعظ .. ولكن

مهما كانت أفكارهم وآراءهم وتفسيراتهم تبدو رائعة بل وروحية أيضاً بحسب الظاهر ، إلا أن الله ينظر إلى جميع هذه الإنجازات على إعتبار أنها أعمال ميتة لأنها لم يتم إنجازها فى الروح ، ولكنها إنتقلت فقط من ذهن إنسان إلى ذهن إنسان آخر .

وهنا قد يعترض البعض قائلين أنهم قد إستفادوا من كتابات ذلك الشخص أو من تعاليمه .. ولكن السؤال هو : ما هو نوع الإستفادة ؟ إنها ليست أكثر من أن عقولهم قد اكتسبت المزيد من الأفكار .. هذه المعرفة لا تضيف شيئاً من الناحية الروحية .. فإن ما ينبع من الروح هو وحده الذى يستطيع أن يصل إلى أرواح الآخرين ، أما ما ينبع من الذهن فهو لا يصل إلا إلى أذهان الآخرين .. إن أى شىء مصدره الروح القدس يصل إلى أرواحنا ، وكل ما ينقله الروح القدس عبر أرواحنا يستطيع أن يصل إلى أرواح الآخرين .

روح الحكمة والاعلان

إن روح الحكمة والاعلان هى شىء ضرورى جداً فى شركتنا مع الله .. « كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته » (أف ١ : ١٧) .. فعندما يحصل المؤمن على روح جديدة عند التجديد ، فإن وظائف هذه

الروح الجديدة تحتاج أن تنمو لأنها تكون خاملة فى البداية .. ولقد كان الرسول بولس يصلى من أجل المؤمنين فى أفسس لكى يحصلوا على روح الحكمة والإعلان وهكذا يستطيعون أن يعرفوا الله بحواسهم الداخلية .. ونحن لا نعرف تماماً هل هذه الإمكانية تكون كامنة فى روح المؤمن ويتم تنشيطها عن طريق الصلاة ، أم أنها شيئاً جديداً يمنحه الروح القدس لروح المؤمن كإستجابة للصلاة .. ولكن الشيء المؤكد هو أن روح الحكمة والاعلان هذه ضرورية للاتصال بالله ، وأنها يمكن الحصول عليها بالصلاة .

فمع أن حواسنا الروحية قادرة على الإتصال بالله ، إلا أنها تحتاج إلى الحكمة والإعلان حتى تقدر أن تعرف ما هو من الله وما هو من ذواتنا .. فإننا نحتاج إلى الحكمة لكى نكتشف خداع العدو وأيضاً محارباته .. كذلك ايضاً فإننا نحتاج إلى روح الحكمة والإعلان لنعرف كيف نتصرف بين الناس .. فهناك آلاف المواقف التى فيها نحتاج إلى حكمة الله ، لأننا فى حقيقة الأمر أغبياء وعرضة للوقوع فى الأخطاء .

إنه من المستحيل لنا أن نعمل إرادة الله فى كل الأشياء ، ولكن الله قد أعد لنا العدّة اللازمة ، وهو لا يزودنا بها فى عقولنا ولكنه يعطى روح الحكمة لأرواحنا .. إنه يعطيها لحواسنا الروحية حتى يستطيع أن يقودنا من خلال هذه الحواس الروحية فى طريق

الحكمة .. ومع أن أذهاننا قد تظل قليلة الذكاء ، إلا أن أرواحنا تكون ممتلئة بالحكمة ، وفى أحيان كثيرة عندما يبدو أن حكمتنا الذاتية قد فشلت تماماً ، فإنه تنشأ بالتدريج فى داخلنا نوعية أخرى من الحكمة ترشدنا فى طريقنا .

هناك علاقة وثيقة بين الحكمة والإعلان ، لأن كل إعلانات الله هى إعلانات حكمة .. فإننا بحسب الطبيعة لا نستطيع بأى حال من الأحوال أن نعرف الله ، لأن الإنسان الطبيعى ليس فيه سوى الظلام .. نعم ، إن الأمور المتعلقة بالله هى بعيدة كل البعد عن متناول عقولنا ، وحتى بعد أن تحصل أرواحنا على حياة فإنها تظل غارقة فى الظلام طالما أنها لم تحصل على إستنارة من الروح القدس **فحصول الروح على حياة يعنى فقط أنها قد أصبحت قادرة على تلقى إعلان الله ، وهو لا يعنى أبداً أنها تستطيع الآن أن تعمل بالاستقلال عن الله .**

إن الله كثيراً ما يعطينا إعلانه أثناء إتصالنا به ، وهذا فى الواقع شيء ينبغى أن نصلى من أجله .. وكلمة « روح الاعلان » تعنى أن الروح هى مكان تلقى إعلان الله .. أما كلمة « روح الحكمة والاعلان » فهى تعرّفنا المكان والوسيلة التى بها ينقل الله إلينا حكمته .. فالأفكار الملحّة لا يمكن أن نعتبرها أنها تنتمى إلى روح الإعلان ، وذلك لأن روح الإعلان يشمل فقط ما يقوم

الروح القدس بتوصيله من فكر الله إلى أرواحنا .. فإن الله يتصل بنا فى أرواحنا وفى أرواحنا فقط .

إن روح الحكمة والاعلان تعطينا أن نعرف الله معرفة حقيقية ، أما كل ما عداها فهو يعطى معرفة سطحية خيالية وبالتالى زائفة .. إننا كثيراً ما نتكلم عن قداسة الله وبره ورحمته ومحبته وعن سائر صفاته الأخرى .. وأن ذهن الإنسان يقدر أن يتخيل هذه الصفات ولكن هذه المعرفة الذهنية تكون أشبه بالنظر من خلال حائط سميك .. أما عندما يحصل المؤمن على إعلان من الله بخصوص قداسته ، فإنه سوف يرى مدى فساده الشخصى وسوف يدرك أمام نور ذلك الساكن فى نور لا يُدنى منه أنه خالى من كل بر .. نعم ما أحوجنا أن الكثيرين منا يختبرون مثل هذا الإختبار ، وبعد ذلك دعونا نقارن بين من حصل على إعلان مثل هذا عن قداسة الله ومن لم يحصل على هذا الإختبار ومع ذلك يتكلم بسهولة عن قداسة الله .. إن كليهما قد يستخدمان نفس الكلمات ، ولكن كلمات الأول تكون أقوى مئات المرات من كلمات الشخص الثانى .. فالشخص الأول يتكلم بكل كيانه وليس بشفتيه فقط ، والسبب يكمن فقط فى روح الاعلان .. إن هذا ينطبق ايضاً على جميع الحقائق الأخرى الموجودة فى الكتاب المقدس .. فنحن أحياناً نفهم حقيقة معينة وندرك أهميتها ، ولكننا

لن نستطيع أن نتكلم عنها بقوة خاصة إلا بعد أن يقوم الله بكشف هذه الحقيقة لأرواحنا .

إن كل ما نتعلّمه من الخارج بدون إعلان فى الداخل لا يستطيع أن يؤثر لا فينا ولا فى الآخرين .. فالإعلان فى الروح هو وحده الذى يحتوى على طاقة روحية .. إن الشركة مع الله معناها الحصول على إعلانه فى الروح .. وللأسف فإن معظمنا نادراً ما يحصل على إعلان من الله ، والسبب هو أننا نادراً ما ننتظر أمامه حتى يعلن لنا فكره .. وفى الواقع فإنه ما أبعد الفرق بين الحياة الطبيعية الدائمة الإنشغال والحياة التى تسير وفقاً للإعلان ! ولكن إذا كنا مستعدين أن نعطى الله الفرصة ، فإننا سوف نقدر أن نحصل على إعلانه دائماً ، هذا ما تؤكده لنا الحياة التى كان يحياها الرسل .

الفهم الروحى

هناك حكمة نفسانية وهناك حكمة روحية .. الأولى تنبع من ذهن الإنسان بينما الثانية يهبها الله للروح .. ويستطيع التعليم أن يمنح الإنسان الطبيعى كل ما ينقصه من الفهم والحكمة ولكنه لا يستطيع أن يغيّر إستعداده الطبيعى .. أما الحكمة الروحية فيمكن الحصول عليها عن طريق الصلاة بإيمان (يع ١ : ٥) .

وهناك شىء يجب علينا أن نعيه جيداً وهو أنه فيما يختص بالفداء ليس عند الله محاباة (أع ١٠ : ٣٤) .. فهو يضع جميع الخطاة ــ حكماء وجهلاء ــ على قدم المساواة ، ثم يقدم لهم جميعاً الخلاص بنفس المساواة .. فكيان العاقل لا يقل فساداً عن كيان الجاهل ، وذهن الحكيم ليس اكثر نفعاً فى نظر الله عن ذهن الأحمق .. إن كليهما يحتاج إلى تجديد الروح ، وحتى بعد التجديد فإن الإنسان الحكيم لن يعرف أمور الله بسهولة أكثر من الإنسان الجاهل ، لأن الله يجب أن يعرفه الجميع بالروح .

قد يكون الناس مختلفين من حيث الذكاء ، ولكنهم جميعاً متشابهون فى أن أرواحهم ميتة وبالتالى فإنهم متساوون فى جهلهم وعجزهم عن فهم أمور الله .. فإن الذكاء الطبيعى لا يساعد الإنسان على معرفة الله .. وبالطبع فإن الإنسان الذكى يستطيع أن يفكر ببراعة وأن يفهم بسرعة الا أن هذا كله يكون محدوداً فى نطاق الذهن ، ولا يكون له أى علاقة بالمعرفة الروحية .

ويجب ألا نظن أن الإنسان الحكيم يكون بعد تجديده أفضل من الإنسان الجاهل من حيث التقدم الروحى فإن لم يكن أكثر خضوعاً فإن قدراته الذهنية لن تفيده شيئاً فى مجال المعرفة الروحية فالخليقة العتيقة لا يمكن أن تكون أساساً للخليقة الجديدة.

إن التقدم الروحى يُقاس بدرجة الأمانة والطاعة .. أما

جميع المواهب الطبيعية فهى لا تؤثر بأى صورة من الصور على الحياة الروحية ، مع أنها فى مجال الحياة الجسدية تُعتبر ميزة كبيرة .. فجميع المؤمنين يبدأون إختبارهم الروحى من نفس النقطة ويسيرون فى نفس الخطوات ويحصلون على نفس النتائج ، ولذلك فإنهم جميعاً ــ حتى الحكماء منهم ــ يحتاجون إلى الفهم الروحى الذى بدونه لا يستطيع أحد أن يمارس الشركة السليمة مع الله .. فليس هناك على الإطلاق أى بديل آخر للفهم الروحى .

« أن تمتلئوا من معرفة مشيئته فى كل حكمة وفهم روحى ، لتسلكوا كما يحق للرب فى كل رضى مثمرين فى كل عمل صالح ونامين فى معرفة الله » (كو ١ : ٩، ١٠) .. لقد كانت هذه هى طلبة الرسول بولس من أجل المؤمنين فى كولوسى .. وفى هذه الصلاة نجد أن معرفة مشيئة الله الحقيقية يسبقها الفهم الروحى ويتبعها : (١) السلوك فى الحياة بطريقة تليق بالرب وترضيه تماماً،(٢) الإثمار فى كل عمل صالح ، (٣) النمو فى معرفة الله .

ومهما كان لدى الإنسان مواهب طبيعية جيدة ، فإنه لا يستطيع بواسطتها أن يعرف إرادة الله .. فالإنسان يحتاج إلى فهم روحى لكى يتصل بالله ويعرف إرادته .. فإن الفهم الروحى يستطيع أن يصل إلى العالم الروحى ، أما الفهم الطبيعى فهو قد يتوصل إلى بعض التعاليم ، ولكن هذه التعاليم تظل فى الذهن ولا

تستطيع أن تفيض على هيئة حياة .. إن الفهم الروحى ينبع من الروح ولذلك فهو يستطيع أن يترجم الأشياء التى يفهمها إلى حياة .. هل إستطعنا إذاً أن ندرك أن المعرفة الحقيقية لا تنبع إلا من الروح ؟

إن روح الإعلان يسير جنباً إلى جنب مع الفهم الروحى .. فإن الله هو الذى يمنحنا كليهما ، إذ أن الحكمة والإعلان التى نحصل عليها فى الروح تحتاج أن تُفهم روحياً .. فالإعلان هو ما نحصل عليه من الله ، أما الفهم فهو الذى يساعدنا فى إستيعاب ما قد أعلنه الله لنا .. فالفهم الروحى يوضح لنا معنى أى تحركات تحدث فى أرواحنا وبذلك يمكّننا من معرفة إرادة الله .. إن الشركة مع الله تشمل تلقى إعلانه لنا فى أرواحنا ، وتشمل أيضاً فهم معنى هذا الإعلان بواسطة الفهم الروحى ، فإن هذا الفهم لا ينشأ فينا طبيعياً ولكن عن طريق إنارة الروح .

إن هذا الجزء الكتابى (كو ١ : ٩، ١٠) يوضح لنا أننا إذا كنا نريد أن نرضى الله وأن نأتى بثمر ، فيجب علينا أن نعرف إرادة الله فى أرواحنا .. فإن علاقة أرواحنا بالله هى أساس إرضائه وأساس إتياننا بثمر .. ولذلك فإنه من العبث أن نظن أننا نُرضى الله إذا كنا نسلك بحسب النفس ، لأن الله لا يمكن أنه يرضى إلا بمشيئته هو ، فليس هناك شىء آخر يستطيع أن يشبع قلبه .

إن مصيبتنا هى أننا لا نعرف إرادة الله .. فإننا نبذل أقصى جهدنا فى البحث والتفكير ، ولكننا نجد فى النهاية أننا غير قادرين على التلامس مع فكر الله .. لذلك يجب علينا أن نتذكر أن معرفة فكر الله لا تتم عن طريق البحث والتفكير بل عن طريق الفهم الروحى .. فإن روح الإنسان هى وحدها التى تستطيع أن تفهم إرادة الله لأنها لديها قدرة حسية لتمييز تحركاته .

إذا تعاملنا مع الله دائما بهذه الطريقة فإننا سوف ننمو فى معرفته .. فالحس الروحى يستطيع أن ينمو بإستمرار بلا حدود ، ونموه معناه نمو الحياة الروحية بأسرها .. إن كل اتصال حقيقى لنا مع الله يدربنا على الاتصال بطريقة أفضل فى المرة التالية .. لذلك يجب علينا أن نسعى نحو الكمال وأن ننتهز كل فرصة لتدريب أرواحنا على معرفة الله بصورة أعمق .. إن إحتاجنا الأعظم اليوم هو أن نعرف الله **معرفة حقيقية** وأن نستوعبه فى أعماق كياننا .. فكم من المرات كنا نظن أننا قد عرفنا مشيئته وبعد ذلك إكتشفنا أننا كنا على خطأ .. فإذا كان إحتياجنا هو أن نعرف الله ونعرف مشيئته ، إذاً علينا أن نطلب منه أن يملأنا من معرفة هذه المشيئة فى كل فهم روحى .

٢_ الضمير

بالإضافة إلى وظائف الشركة والحس الروحى ، تقوم الروح بوظيفة أخرى هامة ، وهى وظيفة التوبيخ والتأنيب بحيث تجعلنا نشعر بعدم الراحة عندما نبتعد عن تمجيد الله .. هذه الوظيفة تسمى الضمير .. **وكما أن قداسة الله تدين الشر وتصادق على الخير ، كذلك أيضاً فإن ضمير المؤمن يوبخ الخطية ويوافق على البر**.إن الضمير هو المكان الذى يُعبِّر فيه الله عن قداسته .. لذلك فإننا إذا كنا نريد أن نسلك بالروح ، فيجب علينا أن نطيع دائماً ما يقوله لنا مرشدنا الداخلى سواء بخصوص ميولنا أو أفعالنا .

وبالطبع فإن عمل الضمير سوف يكون ناقصاً إذا كان لا ينهض ليؤنبنا إلا بعد أن نقع فى الخطأ .. ولكن فى الواقع فإننا ونحن بعد نفكر فى الأمر وقبل أن نتخذ أى خطوة ، يقوم الضمير والحس الروحى معاً بالإعتراض ويجعلاننا نشعر بعدم الراحة تجاه أى فكر أو ميل لا يُرضى الروح القدس .. وفى الحقيقة ، فإننا لو كنا اكثر إستعداداً لطاعة صوت الضمير فى هذه الأيام لكانت هزائمنا أقل بكثير مما هى عليه .

الضمير والخلاص

عندما كنا خطاة كانت أرواحنا ميتة تماماً ، وبالتالى فإن ضمائرنا أيضاً كانت ميتة وغير قادرة على العمل بطريقة سليمة .. وهذا لا يعنى أن ضمير الإنسان الخاطىء متوقف عن العمل تماماً فإنه يستمر يعمل ولكن فى حالة غيبوبة .. وكلما أفاق من غيبوبته فإنه لا يفعل شيئاً سوى أن يدين صاحبه ، ولكنه لا يمتلك القدرة على قيادة الإنسان نحو الله .

وعلى الرغم من أن ضمير الخاطىء ميت تجاه الله ، الا أنه يظل يقوم بدور ضعيف فى داخل الإنسان وهكذا فإن وظيفته تكون هى الوظيفة الوحيدة الفعّالة إلى حد ما من بين وظائف الروح ، أما وظيفة الشركة والحس الروحى فإنها تبدو أكثر موتاً من الضمير .. وهناك بالطبع تفسير لهذا التفاوت : فبمجرد أن أكل آدم من شجرة معرفة الخير والشر ماتت تماماً قدرته على الإتصال بالله وعلى الإدراك الروحى ، أما قدرته على التمييز بين الخير والشر (التى هى وظيفة الضمير) فقد إزدادت .. وحتى اليوم ، فإن وظائف الحس الروحى والشركة مع الله لا تعمل فى الإنسان الخاطىء أما الضمير فإنه يحتفظ بشىء من حساسيته .. وهذا لا يعنى أنه يكون ضميراً حياً ، لأنه بحسب المفهوم الكتابى للحياة

لا يُعتبر الشىء حياً إلا إذا كانت فيه حياة الله نفسه ، وأى شىء يخلو من حياة الله يُعتبر ميتاً .. وبما أن ضمير الخاطىء لا يحتوى على حياة الله فإنه يُعتبر ميتاً على الرغم من أنه قد يبدو نشيطاً فى نظر الانسان .

وأول خطوة يقوم بها الروح القدس تمهيداً لخلاص الإنسان هى أن يوقظ هذا الضمير النائم .. فإنه يستخدم رعود وبروق جبل سيناء (خر ١٩ : ١٦) لزلزلة وإنارة ذلك الضمير المظلم ليقوم بإقناع الخاطىء بأنه قد إنتهك ناموس الله وأنه عاجز عن تحقيق مطالب بر الله وأيضاً لإقناعه بأنه شخص مُدان ولا يستحق سوى الهلاك الأبدى .. فإذا كان ضمير الإنسان مستعداً أن يعترف بجميع الخطايا التى فعلها ـــ بما فيها خطية عدم الايمان ـــ فإن هذا الإنسان سوف يحزن حزناً يقود إلى التوبة ، وهكذا سوف يتجه إلى طلب رحمة الله .. ونجد فى قصة العشار الذى ذهب إلى الهيكل ليصلى مثالاً واضحاً لعمل التبكيت الذى يقوم به الروح القدس (لو ١٨ : ١٣) .. وهذا ايضاً ما قصده الرب بقوله « متى جاء ذاك (الروح القدس) يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة » (يو ١٦ : ٨) .. أما إذا تقسى ضمير الإنسان أمام التبكيت ، فإن هذا الإنسان لن يمكنه أبداً أن يخلص .

إن الروح القدس يستخدم نور الشريعة لإنارة ضمير

الإنسان حتى يقوده إلى الإقتناع بخطيته ، وفى نفس الوقت يستخدم نور الانجيل حتى يقوده إلى الخلاص .. فإذا كان الخاطىء لديه الرغبة ـــ بعد أن إقتنع بخطيته وبعد أن وصلته بشارة نعمة الله ـــ أن يقبل هذه البشارة بالإيمان ، فإنه سوف يجد أن دم الرب يسوع الثمين قد أجاب على جميع إتهامات الضمير .

فبلا شك هناك خطية ، ولكن دم الرب يسوع قد سُفك وكل عقاب الخطية قد دُفع ، وهكذا لم يعد هناك أى أساس لشكوى الضمير .. لقد كفَّر دم الرب عن جميع خطايا المؤمن ولذلك فإن ضميره لا يعود يلومه .. « من أجل أن الخادمين وهم مطهرون مرة لا يكون لهم أيضاً ضمير خطايا » (عب ١٠ : ٢) .. لقد أصبح فى إستطاعتنا أن نقف أمام الله بلا خوف وبلا رعدة لأن دم المسيح قد رُش على ضمائرنا (عب ٩ : ١٤) .. **إن ضمائرنا تكف عن إدانتنا بعد أن نتطهر بدم المسيح** وهذه الحقيقة فى حد ذاتها تؤكد أننا قد حصلنا على الخلاص .

إننا لا نستطيع أن نتجاهل دور الضمير أثناء الكرازة بالكلمة ، **لأن ضمير الإنسان هو المكان الذى يسلط الله عليه نور الناموس المرعب ونور الانجيل المنعم** .. إن الهدف من الكرازة ليس مجرد أن نجعل الناس يفهمون بعقولهم ويتأثرون فى عواطفهم ويقررون بإرادتهم ، ولكن الهدف أساساً هو أن نمس ضمائرهم ..

فالروح القدس لا يستطيع أن يقوم بعمل التجديد من خلال الدم الثمين إن لم يكن ضمير الإنسان قد تبكت على الخطية .. لذلك يجب علينا فى كرازتنا أن نؤكد على أهمية الدم الثمين وفى نفس الوقت لا نهمل دور الضمير .

إن البعض يسعون دائماً إلى تبكيت الضمائر ولا يتكلمون عن الدم المطهر ، فتكون النتيجة أن الخطاة يحاولون جاهدين أن يتوبوا وأن يعملوا الصلاح لعلهم يستطيعون بهذه الطريقة أن يسترضوا الله بفضائلهم الذاتية .. والبعض الآخر يتكلمون عن دم المسيح ويتغاضون عن تبكيت الضمائر ، فينتج عن ذلك قبول عقلى لعمل المسيح وإيمان سطحى ، لأن الروح القدس لم يصل إلى الضمير .. لذلك فإننا ينبغى أن نقدم كلا الأمرين بالتساوى حتى إن كل من يشعر بإدانة الضمير ، يقدر أن يقبل بحق كفارة دم المسيح .

الضمير والشركة

« فكم بالحرى يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » (عب ٩ : ١٤) .

لكى تكون لنا شركة مع الله ولكى نخدمه ، يجب أن ضمائرنا تتطهر أولاً بدم المسيح .. فعندما يتطهر الضمير يحصل الانسان على الولادة الجديدة .. والكتاب المقدس يخبرنا أن التطهير بالدم وتجديد الروح يحدثان فى آن واحد .. وتخبرنا الآية السابقة أن الإنسان قبل أن يخدم الله يجب أن يحصل على حياة جديدة ويجب أن ينشط حسه الروحى تجاه الله من خلال تطهير الضمير بواسطة الدم .. **فالضمير المطهَّر يجعل حواس الروح قادرة على خدمة الله ، لأن الضمير والحس الروحى مترابطان** .
« لنتقدم بقلب صادق فى يقين الايمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقى » (عب ١٠ : ٢٢).

إننا لا نقترب إلى الله بأجسادنا كما كان الناس يفعلون فى العهد القديم ، لأن أقداسنا هى فى السماوات ، وكذلك فإننا لا نقترب إليه بأفكارنا أو عواطفنا لأن الأفكار والعواطف ليست لديها القدرة على الاتصال بالله .

إن الروح المجددة هى وحدها التى تستطيع أن تقترب إلى الله ، فالمؤمنين يعبدون الله بحواسهم الروحية .. والعدد السابق يؤكد لنا أن تطهير الضمير هو أساس العلاقة الروحية مع الله .. فالضمير الملوث بالخطية يكون دائماً تحت الإدانة ، وهذا يؤثر بالطبع على الحس الروحى ــ لأنه مرتبط إرتباطاً وثيقاً بالضمير ــ ويجعله لا يجرؤ على الإقتراب إلى الله ، بل إنه قد يشل عمله تماماً.

كم هو ضرورى أن يكون لنا فى علاقتنا مع الله « قلب صادق فى يقين الإيمان » .. **فعندما تكون ضمائرنا ملومة يصبح إقترابنا إلى الله متكلفاً وغير صادق** لأننا لن نستطيع أن نؤمن تماماً أن الله لنا ، وأنه لا يمسك شيئاً ضدنا .. ومثل هذا الخوف والشك يُضعف الحس الروحى ويحرمه من حرية الشركة مع الله .

لذلك يجب أن لا تكون هناك أدنى شكاية على ضمير المؤمن ، بل يجب أن يكون المؤمن متأكداً أن جميع خطاياه قد كفّر عنها تماماً دم المسيح وأنه ليس هناك الآن أى دينونة عليه (رو ٨ : ٣٣ــ٣٤) .. إن وجود خطية واحدة على الضمير يقدر أن يعطل عمل الحس الروحى فى الإتصال بالله ، لأنه بمجرد أن يشعر المؤمن بوجود خطية فإن روحه تستجمع كل قواها للتخلص من هذه الخطية ، وبالتالى فإنها لا تجد قوة للإرتفاع نحو السماء .

ضمير المؤمن

عندما تتجدد روح المؤمن ، يحصل ضميره على حياة فإن دم الرب يسوع المسيح يطهر الضمير وبالتالى يجعل إحساسه مرهفاً من جهة أنه ينبغى أن يطيع إرادة الروح القدس .. إن عمل الروح القدس فى تقديس الإنسان وعمل الضمير مترابطان

ارتباطاً وثيقاً .. فإذا كنا نريد أن نتملىء من الروح القدس وأن نتقدس وأن نعيش حياة بحسب إرادة الله ، علينا أن نلتزم بصوت الضمير .. فإننا إذا لم نعط الضمير مكانه اللائق ، فسوف نقع لا محالة فى السلوك بحسب الجسد .

إن إخلاص الإنسان لضميره هو أول خطوة نحو القداسة ، **وإطاعة صوت الضمير هو الدليل على الروحانية الحقيقية** .. فإذا لم يسمح المؤمن لضميره بأن يقوم بعمله ، فإنه لن يقدر أن يدخل إلى دائرة الروحيات .. وحتى إذا كان يعتبر نفسه إنساناً روحياً ، وكان الآخرون أيضاً يعتبرونه كذلك ، فإن « روحانيته » تكون بلا أساس .. فإذا كنا لا نخضع لصوت الضمير فى الإمتناع عن الخطية وعن سائر الأمور الأخرى التى تتعارض مع مشيئة الله والتى لا تليق بالقديسين ، فإن كل ما إكتسبناه من المعرفة الروحية سوف ينهار لأنه لا يكون مبنياً على أساس سليم .

إن ضمائرنا تشهد لنا فيما إذا كنا مخلصين تجاه الله وتجاه الناس ، وفيما إذا كانت أفكارنا وكلماتنا وأفعالنا متوافقة مع مشيئة الله ومع فكر المسيح أم لا .. **وكلما تقدم المؤمن روحياً كلما تقاربت شهادة ضميره مع شهادة الروح القدس** ، وذلك لأن الضمير عندما يكون تحت سيطرة كاملة من الروح القدس فإنه

يزداد حساسية يوماً بعد يوم إلى أن يتوافق تماماً مع صوت الروح القدس ، وهكذا يصبح الروح قادراً أن يكلم المؤمنين من خلال ضمائرهم ، وهذا ما نراه فى قول الرسول بولس : « وضميرى شاهد لى بالروح القدس » (رو ٩ : ١) .

فإذا كانت ضمائرنا تديننا ، فإننا بلا شك نكون مخطئين .. لذلك فعندما تلومنا ضمائرنا يجب علينا أن نعترف ونتوب فى الحال ولا نحاول أن نخفى خطأنا أو نرشى ضمائرنا .. « لأنه ان لامتنا قلوبنا فالله أعظم من قلوبنا » (١يو ٣ : ٢٠) أى لا بد أن الله أيضاً يلومنا .. إن كل ما يدينه الضمير يدينه الله ايضاً ، لأنه هل من المعقول أن يكون مستوى قداسة الله أقل من مستوى ضمائرنا .. ؟ فإذا كانت ضمائرنا تؤكد أننا مخطئين ، فإننا لا بد أن نكون مخطئين .

فماذا نفعل إذاً عندما نكون مخطئين .. ؟ إذا كنت لم تُقْدم بعد على عمل الخطأ فإرجع عنه ، وإذا كنت قد عملته بالفعل فإعترف به واطلب من الله أن يطهرك بالدم الثمين .. ولكن كم هو مؤسف أن مؤمنين كثيرين لا يفعلون ذلك ، فبمجرد أن تلومهم ضمائرهم ، يبدأون فى البحث عن طريقة لإسكاتها .. وهم غالباً ما يلجأون إلى إحدى طريقتين : **الطريقة الأولى** هى المجادلة مع ضمائرهم ومحاولة تقديم الأعذار لتبرير

تصرفاتهم مفترضين أن أى تصرف منطقى لا بد وأن يتفق مع مشيئة الله وبالتالى لا بد أن يصفح عنه الضمير .. ولكنهم يجهلون نقطة هامة وهى أن الضمير لا يقبل الجدال أو المناقشة ، فهو يميز إرادة الله من خلال الحس الروحى ويدين كل ما يتعارض معها .. فالضمير ينحاز إلى إرادة الله وليس إلى المنطق ، والمؤمن يجب أن يسلك ليس بحسب المنطق ولكن بحسب إرادة الله المعلنة فى حواسه الروحية ، وعندما يعصى هذه الإرادة يبدأ الضمير يرفع صوت الإحتجاج .. إن الأعذار والتبريرات قد تُقنع العقل ولكنها لا تُرضى أبداً الضمير ، فطالما أن سبب الإدانة لا يزال موجوداً ، فسيظل الضمير مستمراً فى الشكاية .

فى بداية طريق الإيمان ، يشهد ضمير الإنسان للصواب والخطأ فقط ، ولكن مع نمو الحياة الروحية يبدأ الضمير يشهد أيضاً لما هو من الله وما ليس من الله .. فبينما تبدو أشياء كثيرة أنها حسنة بحسب النظرة البشرية ، إلا أنها تكون مُدانة من الضمير لأنها ليست نابعة من فكر الله بل من الإنسان نفسه .

والطريقة الثانية هى محاولة تهدئة الضمير بواسطة العديد من الأعمال الأخرى .. فعندما يقع المؤمنون فى مأزق بسبب خوفهم من إدانة الضمير وفى نفس الوقت يرفضون الإستماع إلى صوته ، فإنهم يلجأون أحياناً إلى عمل الكثير من الأعمال

الصالحة كمحاولة للخروج من هذا المأزق .. فيحاولون إستبدال عمل مشيئة الله بعمل أعمال أخرى جديرة بالثناء .. وهكذا فإنهم لا يطيعون الله ولكنهم يُصرّون على أن الأشياء التى يفعلونها الآن لا تقل صلاحاً عن الأشياء التى سبق أن أعلنها الله لهم ، بل ربما أنها أفضل منها ، وأوسع مدى ، وأكثر نفعاً ، وأعمق تأثيراً .. ومع أنهم يُقدِّرون جداً هذه الأعمال إلا أن الله يعتبرها بلا أدنى قيمة روحية .. **فإن الله لا يهمه حجم الذبائح المقدمة ولا كثرتها بل يهمه فقط مقدار طاعتنا له** .. فليس هناك ما يستطيع أن يُرضى قلب الله ــ مهما كانت نوايانا حسنة ــ إذا كنا قد أهملنا ما أعلنه الله لنا فى أرواحنا .. إن مضاعفة تكريسنا لله لن يُسكت صوت الضمير ، فليس هناك مفر من أن نطيعه لأن هذه هى الطريقة الوحيدة لإرضاء الله .. فالضمير لا يطالبنا إلا بالطاعة ، إنه لا يريدنا أن نخدم الله بطريقة مرموقة ولكن فقط أن نطيع .

لذلك دعونا أن لا نخدع أنفسنا ، فأثناء سلوكنا بالروح سوف نسمع توجيهات الضمير .. **فلنحرص أن لا نهرب من توبيخه بل بالحرى نستمع إليه بإنتباه** .. إن سلوكنا بالروح يُلزمنا بأن نتواضع وأن نطيع ضمائرنا عندما تقوم بتصحيحنا .. **لنحرص أن لا نعترف اعترافاً مجملاً يشمل جميع خطايانا بطريقة مدمجة ، لأن هذا النوع من الإعتراف لا يعطى للضمير فرصة لكى يقوم**

بعمله كما ينبغى .. بل لنسمح للروح القدس أن يُظهر لنا خطايانا كل على حدة من خلال ضمائرنا ، ولنلتزم بالهدوء والتواضع والطاعة بينما تقوم ضمائرنا بتوبيخنا على كل واحدة منها .. لنقبل تأنيب الضمير ولنكن مستعدين أن نتخلى عن كل ما يتعارض مع مشيئة الله .

هل نحن متحفظين فى السماح لضمائرنا بأن تفحص حياتنا .. ؟ هل لدينا الجرأة الكافية لتركها تكشف حالتنا على حقيقتها .. ؟ هل نسمح لها بأن تستعرض أمامنا كل أمور حياتنا كما هى فى نظر الله .. ؟ إذا كنا لا نجرؤ ولا نرغب فى هذا النوع من الفحص ، أليس هذا دليل على أن هناك أشياء كثيرة فى حياتنا لم تخضع بعد للصليب كما ينبغى ، وأن هناك أموراً كثيرة لم نطع الله فيها ولم نعملها بحسب الروح ، وأن هناك مسائل لم تزل تعوقنا عن أن تكون لنا صلة وثيقة بالله .. ؟

إن قبول توبيخ الضمير بلا قيد ولا شرط ، والرغبة فى عمل ما يكشفه لنا ، هو المقياس الحقيقى لمدى تكريسنا لله ، ومدى كراهيتنا للخطية ، ومدى رغبتنا فى عمل مشيئة الله .. إننا كثيراً ما نقول أننا نريد أن نرضى الله وأن نطيعه وأن نسلك بحسب الروح .. **هذا هو المحك لصدق هذه الرغبة ، هل هى حقيقية أم خيالية ، كاملة أم ناقصة** .. فإذا كنا لا نزال متمسكين

بالخطية ولم ننفصل عنها تماماً ، فإن روحانيتنا هى غالباً مجرد إدعاء .

فإذا كان المؤمن لا يقدر أن يطيع ضميره طاعة كاملة ، فهو لن يقدر أن يسلك بالروح ، لأنه كيف يمكن لروح ذلك الإنسان أن تقوده إذا كانت لا تزال تتوسل إليه لكى يستمع إلى صوت الضمير .. ؟ **إن أى قيادة روحية بدون تحقيق مطالب الضمير هى قيادة من الخيال** ، فالمؤمن لا يستطيع أن يحقق أى تقدم روحى إذا توانى فى الحكم على ضميره الشرير وفى التعامل معه بحسب النور الإلهى .. فمدى صدق التكريس والخدمة **يتوقف على مدى رغبة الإنسان فى طاعة الله ، سواء فى التوجيه أو فى التوبيخ .**

وبعد أن يسمح الإنسان لضميره بأن يبدأ فى العمل ، يجب عليه أن يسمح له أيضاً بأن يتمم عمله .. فكل خطية يجب التعامل معها ومعالجتها إلى أن يتم التخلص منها .. **فإذا كان المؤمن مخلصاً فى تعامله مع الخطايا وفى إطاعة ضميره ، فإنه سوف يحصل على مزيد من النور السماوى لكشف خطاياه المستترة** .. إن الروح القدس سوف يعطيه القدرة على قراءة وفهم المزيد من الشريعة الإلهية المكتوبة فى قلبه ، حتى يصل إلى معرفة المعنى الحقيقى للقداسة والبر والنقاء والأمانة ، تلك الأمور التى كان عنده مجرد فكرة غامضة عنها من قبل .. وبالإضافة إلى ذلك

فإن حواسه الروحية سوف تتقوى كثيراً لتُمكنه من معرفة فكر الروح القدس .

لذلك بمجرد أن يتوبخ المؤمن من ضميره يجب أن تكون إجابته الفورية هى هذه : « يارب ، إننى مستعد أن أطيع » ، يجب عليه أن يؤكد مرة أخرى أن المسيح هو رب على حياته ، يجب عليه أن يدع الروح القدس يُعلِّمه ، فإن الروح القدس لا بد أن يأتى لمعونة المؤمن إذا كان يطيع ضميره بصدق وأمانة .

إن الضمير هو بمثابة نافذة لروح المؤمن ، تسطع من خلالها أشعة السماء على روحه فتملأ كيانه كله بالنور .. إن النور السماوى يضىء من خلال الضمير لكشف أخطائنا سواء فى التفكير أو الكلام أو التصرف بطريقة لا تليق بالقديسين .. فإذا خضعنا لصوت الضمير وإستأصلنا الخطية التى يدينها ، ففى المرة التالية سوف يسطع نور السماء بأكثر لمعان .. أما إذا لم نعترف بالخطية ولم نتخلص منها ، فإن ضميرنا سوف يفسد ويتنجس بها (تى ١ : ١٥) لأننا لم نسلك بحسب تعليم النور الإلهى .. ومع تراكم الخطايا ، يصبح الضمير مثل نافذة معتمة فلا يستطيع النور أن يخترق الروح إلا بصعوبة ، وفى النهاية يأتى الوقت الذى فيه لا يشعر المؤمن بأى حزن وبأى وخز من الضمير عندما يفعل الخطية ، لأن ضميره يكون قد تبلد بسبب الخطية .

فكلما كان المؤمن أكثر روحانية كلما كان ضميره أكثر حساسية ، فليس هناك درجة من الروحانية يصل إليها المؤمن بحيث لا يحتاج بعدها أن يعترف بخطيته .. فإذا كان ضميره متبلداً وغير حساس فهذا دليل على أنه قد إنحدر روحياً .. إن المعرفة الكثيرة والخدمة الشاقة والمشاعر الملتهبة والإرادة القوية لا يمكن أن تحل محل الضمير الحساس ، فكل من لا يلتفت إلى صوت الضمير بل يسعى إلى التقدم الذهنى والحسى ، يكون فى الواقع آخذا فى الانحدار الروحى .

إن حساسية الضمير قابلة للزيادة والنقصان .. فإذا أعطى الإنسان الفرصة لضميره لكى يقوم بعمله ، فإن نافذة روحه سوف تدع المزيد من النور يدخل فى المرة التالية .. أما إذا تجاهل صوت ضميره أو حاول أن يجيب عليه بالجدال أو بعمل أشياء غير التى يطلبها منه ، فإن صوت الضمير سوف يصبح أكثر إنخفاضاً فى المرات التالية ، إلى أن يكف عن الكلام تماماً .. **ففى كل مرة يرفض المؤمن أن يستمع لصوت ضميره ، فإنه يتلف حياته الروحية** ، وإذا إستمرت هذه الحالة بلا ضابط ، فإن هذا المؤمن سوف ينزلق إلى الحالة الجسدية وسوف يفقد كراهيته للخطية وحبه للإنتصار .. إننا لن نعرف بحق أهمية الإستماع إلى الضمير بالنسبة لحياتنا الروحية إلا بعد أن نتعلم كيف نتعامل بأمانة مع التوبيخ الذى يصدر منه .

الضمير الصالح

« ... إنى بكل ضمير صالح قد عشت لله إلى هذا اليوم » (أع ٢٣ : ١) .. هذا هو سر حياة بولس المنتصرة .. والضمير الذى يتكلم عنه هنا ليس هو ضمير شخص غير مؤمن ، بل هو ضمير مؤمن ممتلىء من الروح القدس .

لقد كان للرسول بولس ثقة فى الإقتراب إلى الله وعلاقة قوية معه ، لأن ضميره المجدد لم يكن يؤنبه .. لقد كان يُلاحظ ضميره فى كل شيء يعمله ، فلم يكن يعمل أبداً ما يعترض عليه ضميره ، ولم يكن يسمح أبداً ببقاء شيء فى حياته إذا كان ضميره يدينه عليه .. لهذا السبب فقد كانت له ثقة وجرأة أمام الله والناس ، **فإننا نفقد الثقة عندما تكون ضمائرنا ملومة** .. لقد كان الرسول بولس يدرب نفسه دائماً ليكون له « ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس » (أع ٢٤ : ١٦) ، لأنه « إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله ، ومهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه » (١يو ٣ : ٢١،٢٢) .

إن معظم المؤمنين لا يدركون تماماً أهمية الضمير .. فالكثيرين يظنون أنهم طالما يسلكون بالروح فإن كل شيء سيكون على ما يرام .. إنهم لا يعلمون أن الضمير الملوم يؤدى إلى

فقدان الثقة فى الإقتراب إلى الله وأن هذه بالتالى تؤدى إلى إنقطاع الشركة مع الله .. وفى الواقع فإن الضمير المُعثَر يقدر أن يعوق إتصالنا الروحى بالله أكثر من أى شيء آخر .. فإذا أهملنا فى حفظ وصايا الرب أو فى عمل ما يرضيه ، فإن ضمائرنا لا بد أن توبخنا فى الداخل وتجعلنا نشعر بالخوف أمام الله وهذا بالتالى يحرمنا من الحصول على طلباتنا .. إننا لا نستطيع أن نخدم الله إلا من خلال ضمير صالح (٢تى ١ : ٣) أما الضمير المعتم فإنه يجعلنا تلقائياً نبتعد عن الله .

« لأن فخرنا هو هذا: شهادة ضميرنا أننا فى بساطة وإخلاص الله لا فى حكمة جسدية بل فى نعمة الله تصرفنا فى العالم » (٢كو ١ : ١٢) .. هذه الآية تتكلم عن شهادة الضمير فالضمير الغير ملوم هو وحده الذى يستطيع أن يشهد للمؤمن .. **إن شهادة الآخرين لنا هى بلا شك شيء حسن ، ولكن أفضل منها هى شهادة ضمائرنا نحن** .. والرسول بولس يؤكد هنا أن هذا هو موضع فخره .. إننا نحتاج فى سلوكنا بحسب الروح أن تكون لنا بإستمرار هذه الشهادة .. فإن ما يقوله الناس عنا قابل للخطأ لأنهم لا يعرفون تماما ما الذى أعلنه الله لنا .. قد يسيء المؤمنون فهمنا وقد يحكمون علينا أحكاماً خاطئة ، تماماً مثلما فعلوا مع الرسل قديماً .. وفى أحيان أخرى قد يمدحوننا أكثر من اللازم .. فكثيراً ما ينتقدنا الناس فى الوقت الذى نكون فيه

مطيعين للرب ، وكثيراً ما يمدحوننا على ما يروه فينا ، مع أنه يكون فى الواقع مجرد نشاط ظاهرى نابع من العواطف أو من الفكر، **لذلك فإن مدح الناس أو لومهم لا يكون مبنياً على أساس سليم .. أما شهادة الضمير المجدَّد فهى دائماً دقيقة** ، ولذلك يجب علينا أن نعيرها كل الإهتمام : ما هو تقديرها لنا ؟ هل حكمها علينا هو أننا مراؤون ؟ أم أنها تشهد لنا فعلاً أننا نسلك بين الناس بالقداسة والتقوى ؟ هل ضمائرنا تؤكد أننا قد سلكنا فعلاً بحسب كل النور الذى وصل إلينا ؟

وماذا كانت شهادة ضمير بولس .. ؟ لقد كان يشهد له بأنه قد تصرف فى العالم لا فى حكمة جسدية بل فى نعمة الله .. وفى الحقيقة فإن الضمير لا يمكن أن يشهد بغير ذلك ، لأنه لا يهتم بشىء إلا بأن يحيا المؤمن حياته فى نعمة الله وليس فى حكمة جسدية .. إن الحكمة الجسدية لا تساوى شيئاً على الإطلاق فيما يختص بإرادة الله وخدمته ، وهى أيضاً ليس لها أى قيمة بالنسبة للحياة الروحية .. فإن ذهن الإنسان عاجز تماماً عن الإتصال بالله ، وحتى فى علاقة الإنسان بالعالم المادى فإن الذهن يقوم بدور ثانوى .

فالمؤمنين يعيشون على الأرض فقط من خلال نعمة الله ، والنعمة معناها شىء يعمله الله بالكامل ، وأما الانسان فليس له

دور فى هذا العمل (رو ١١ : ٦) .. فالضمير لا يمكن أن يشهد للمؤمن أنه يعيش فى العالم بالقداسة وبالأمانة ، إلا إذا كان يعيش فقط بالإعتماد على الله ، ولا يسمح لذاته أن تتخذ أى خطوة ولا لذهنه أن يتسلط عليه .. وبمعنى آخر فإن الضمير يعمل فى توافق مع الحس الروحى .. فالضمير يشهد لكل عمل يتم بناء على إعلان الله للحس الروحى ، ولكنه يقاوم كل تصرف يتعارض مع الإعلان الإلهى بغض النظر عن مدى توافق هذا التصرف مع الحكمة البشرية .. وبإختصار ، يمكننا أن نقول أن الضمير يشهد فقط لصالح الإعلان الروحى .. **فالحس الروحى يرشد المؤمنين ، بينما الضمير يدفعهم إلى طاعة هذا الإرشاد** .

إن الضمير الصالح الذى يشهد عن سرور الله بالمؤمن هو من الضروريات الأساسية للسلوك بحسب الروح .. وهذه الشهادة يجب أن تكون هى هدف المؤمن ، فلا يرضى أبداً بأقل منها .. وكما كانت لبولس هذه الشهادة من ضميره ، كذلك نحن ايضاً يجب أن يكون لنا نفس التأكيد .. لقد كان لأخنوخ ضمير صالح بدليل أنه كان يعرف أنه قد أرضى الله .. فهذا التأكد من أن الله مسرور بنا يساعدنا على التقدم إلى الأمام .. ولكننا يجب علينا هنا أن نكون فى منتهى الحرص لئلا ننتفخ وكأننا نحن الذين أرضينا الله .. فإن المجد كله يجب أن يعود إلى الله .. لذلك يجب علينا أن ندرب أنفسنا دائماً ليكون لنا ضمير صالح ، ولكن متى

أصبحت ضمائرنا بلا لوم يجب علينا أن نحترس من إفتخار الجسد.

إذا كانت ضمائرنا تشهد لنا بإستمرار أن الله مسرور بنا ، فإن هذه الشهادة ستولد فينا الثقة حتى إذا ما أخطأنا نستطيع أن نلجأ إلى دم الرب يسوع الذى يطهر من كل خطية .. ولكى يكون لنا دائماً ضمير صالح يجب علينا ألا نتحول أبداً عن ذلك الدم المطهر ، فليس هناك بديل عن الإعتراف بخطايانا والثقة فى الدم الثمين .. فإن إستمرار وجود الطبيعة الخاطئة فى داخلنا يجعلنا غير قادرين على اكتشاف الكثير من أعمال الجسد إلا بعد أن ننضج روحياً .. فما كنا نعتبره قبلاً غير ملوم أصبحنا الآن نعتبره خطأً .. لذلك فإننا بدون الدم الثمين وعمله المطهر لن نقدر أبداً أن نكون فى سلام ، ولكن بمجرد أن يُرش هذا الدم على ضمائرنا فإنه سيقوم بتطهيرها تماماً .

يقول الرسول بولس أنه يدرب نفسه لكى يكون له « ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس » (أع ٢٤ : ١٦) .. هناك إرتباط وثيق بين هذين الإتجاهين : نحو الله ونحو الناس .. **فإذا كنا نريد أن يكون ضميرنا صالحاً من نحو الناس ، يجب أولاً أن يكون نقياً من نحو الله** .. فالضمير المُعثَر أمام الله ينشأ عنه تلقائياً ضمير مُعثَر أمام الناس .. لذلك فإن كل من يريد أن

يعيش بالروح يجب أن يحرص أن يكون له ضمير صالح من نحو الله (١بط ٣ : ٢١) .

وهذا لا يعنى بالمرة أنه ليس من الضرورى أن يكون لنا ضمير صالح أمام الناس .. كلا ، فإنه على العكس ، هناك أمور كثيرة نستطيع أن نعملها أمام الله ولكن ليس أمام الناس .. ولكى نقدم للناس شهادة حسنة يجب أولاً أن تكون ضمائرنا تجاههم سليمة .. **فإذا أساء الناس فهمنا ، فإن هذا لا يؤثر على شهادتنا طالما أن لنا ضميراً صالحاً** .. هذا ما يقوله الرسول بطرس « ولكم ضمير صالح لكى يكون الذين يشتمون سيرتكم الصالحة فى المسيح يخزون فى ما يفترون عليكم كفاعلى شر » (١بط ٣ : ١٦) .. فكما أن الأعمال الصالحة لا يمكن أن تهدىء الضمير الملوم ، كذلك أيضاً فإن شتائم الناس وإفتراءاتهم لا يمكن أن تؤثر على الضمير الصالح .

والضمير الصالح يمكّننا أيضاً من أن تتحقق فينا مواعيد الله .. إننا نشكو فى هذه الأيام من قلة الإيمان ومن أنه هو سبب فشلنا فى ممارسة الحياة الروحية بكامل أبعادها .. **وبالطبع هناك أسباب كثيرة لقلة الإيمان ، ولكن لعل اخطر هذه الأسباب هو الضمير الملوم** .. فالضمير الصالح والإيمان القوى شيئان متلازمان .. فمتى تعثر الضمير ، يضعف الإيمان فى نفس اللحظة

.. ولنلاحظ كيف يربط الكتاب المقدس بين هذين الإثنين : « أما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء » (١تى ١ : ٥) .. « ولك إيمان وضمير صالح » (١تى ١ : ١٩) .. **فالضمير هو عضو الإيمان** .

إن الله يكره الخطية بشدة ، فإن قداسته لا تحتمل الخطية ولا للحظة واحدة .. فإذا لم يتخلص المؤمن من أى شىء يتعارض مع فكر الله ـــ بحسب ما يمليه عليه ضميره ـــ فإنه يفقد فى الحال شركته مع الله .. إن كل مواعيد الله الممنوحة لنا فى الكتاب المقدس هى مواعيد مشروطة .. فليس هناك وعد ممنوح لتحقيق شهوة الجسد ، ولا يمكن لأحد أن يختبر الإمتلاء بالروح القدس والشركة مع الله وإستجابة الصلاة إذا لم يتخل عن الخطية .. **لأنه كيف يمكننا أن نطالب الله بثقة أن تتحقق فينا مواعيده إذا كانت ضمائرنا تشتكى علينا** ؟ وكيف يمكن للإنسان أن يكون رجل صلاة وأن يطلب من الله عطاياه الغزيرة ، إذا كان ضميره لا يشهد له أنه يعيش بالقداسة والتقوى ؟ فلكى نصلى بإيمان يجب علينا أولاً أن نترك الخطية ونتطهر منها .

إننا نحتاج إلى ضمائر خالية من الشكاية ، ليس بمعنى أنها تكون أفضل من ذى قبل أو أننا نكون قد تحررنا من الكثير من الشر ، بل بمعنى أن تكون لضمائرنا ثقة أمام الله ، فهذه هى

الحالة العادية التى ينبغى أن تكون عليها ضمائرنا .. فإذا خضعنا لصوت ضمائرنا وسمحنا لها بأن توبخنا وقدمنا ذواتنا للرب برغبة كاملة فى عمل كل مشيئته ، فإن ثقتنا سوف تزداد إلى أن نقول لله أنه لم يعد هناك فينا شىء مخفى عنه ولم يعد هناك على حد معرفتنا شىء يفصل بيننا وبينه .

ففى سلوكنا بالروح يجب علينا ألا نسمح لأصغر خطية بأن تزعج ضميرنا .. فأى شىء يدينه ضميرنا يجب علينا أن نعترف به فى الحال وأن نتطهر منه بالدم الثمين حتى لا يبقى له أى أثر .. يجب علينا أن نحرص كل يوم أن يكون لنا ضمير صالح لأن أى إساءة إلى الضمير مهما قصرت مدتها تؤذى الروح بشدة .. لقد أعطانا الرسول بولس نفسه كقدوة فى الضمير الصالح ، فلنحرص أن نكون مثله لأن بهذه الطريقة وحدها سوف نقدر أن نحتفظ بشركة مستمرة مع الله .

الضمير والمعرفة

فى أثناء سلوكنا بالروح وإستماعنا لصوت الضمير يجب علينا أن نتذكر شيئاً هاماً وهو أن الضمير محدود بالمعرفة .. فالضمير هو عضو التمييز بين الخير والشر ، أى أنه يعطينا معرفة الخير والشر .. ولكن هذه المعرفة تختلف من مؤمن لآخر ، فبعض

المؤمنين لديهم قدر كبير من المعرفة أما البعض الآخر فلديهم قدر أقل .. وأحياناً تتدخل البيئة التى يعيش فيها المؤمن والتعليم الذى تلقاه فى تحديد درجة المعرفة .. لذلك فإننا لا نستطيع أن نعيش بحسب مقاييس الآخرين ، كما أننا ايضاً لا نستطيع أن نطالبهم بأن يعيشوا بمستوى النور الذى عندنا .. فالخطية التى لا يعرف المؤمن أنها خطية لا تقطع شركته مع الله .. فطالما أنه يعمل بأمانة كل إرادة الله المعروفة لديه ، ويتخلى عن أى شىء يعرف أن الله يدينه ، فإنه يكون متمتعاً بشركة كاملة مع الله .

احيانا يظن المؤمن الحديث فى الايمان أنه بسبب نقص معرفته لابد وأن يفشل فى إرضاء الله .. إن المعرفة الروحية هى بلا شك فى منتهى الأهمية ، ولكن نقصها لا يعوق شركة الإنسان مع الله .. **ففى مسألة الشركة ، لا ينظر الله إلى مقدار معرفتنا لإرادته ، بل إلى موقفنا من هذه الإرادة** .. فطالما أننا نسعى بأمانة لعمل مشيئته ، فإن شركتنا معه تظل متصلة ، حتى مع وجود خطايا كثيرة فينا غير معروفة لنا .. لأنه لو كانت الشركة تتحدد بمقياس قداسة الله ، فمن الذى يستطيع من بين جميع القديسين سواء فى الماضى أو فى الحاضر أن يكون مؤهلاً لهذه الشركة ولو للحظة واحدة .. ؟ لو كان الأمر كذلك لكان الجميع قد طُردوا من أمام وجه الله ومن جلال عظمته .. ولكن فى الحقيقة فإن هذه الخطايا غير المعروفة لنا هى تحت ستر الدم الثمين .

أما إذا سمحنا ببقاء خطية مهما كانت صغيرة وكنا نعرف أن ضميرنا يدينها ، فإننا نفقد فى الحال شركتنا مع الله .. فكما أن أصغر ذرة غبار تجعلنا غير قادرين على الرؤية ، كذلك أيضاً فإن أصغر خطية ـــ معروف لنا أنها خطية ـــ تحجب عنا وجه إلهنا البسام .. ففى نفس اللحظة التى يُلام فيها الضمير ، تتأثر شركتنا مع الله .. إن الخطية التى لا يعرف المؤمن أنها خطية قد تستمر طويلاً فى حياته بدون أن تؤثر على علاقته مع الله .. ولكن بمجرد أن يُشرق نور المعرفة ويعرف أنها خطية فإنه يفقد شركته مع الله إذا سمح لهذه الخطية بالبقاء .. إن شركة الله معنا تتوقف على حجم المعرفة الموجودة فى ضمائرنا ، لذلك فإنه من الغباء بالنسبة لنا أن نفترض أن الشىء الذى لم يمنع شركتنا مع الله لسنين عديدة لا يمكنه أن يمنعها فيما بعد .

إن الضمير يدين فقط على قدر النور الذى يصل إليه ، ولذلك فهو لا يستطيع أن يدين شيئاً لا يعرف أنه خطأ .. ومع زيادة المعرفة لدى المؤمن ، تزداد أيضاً معرفة ضميره للأشياء الخاطئة وبالتالى تزداد إدانته لها .. **لذلك يجب علينا ألا نقلق بخصوص ما لا نعرفه ، ولكن يكفى فقط أن نسلك بالأمانة فى حدود ما نعرفه** .. « فإن سلكنا فى النور كما هو فى النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل

خطية » (١يو ١ : ٧) .. أى إننا إذا سلكنا بحسب النور الذى وصل إلينا فعلاً ، تكون لنا شركة مع الله ، ودم الرب يسوع المسيح يطهرنا من الخطايا التى لا زالت غير معروفة لنا .

إن الله عنده نور غير محدود ، أما نحن فإن النور الذى لدينا محدود ، ولكن إذا سلكنا بموجبه فستكون لنا شركة مع الله ، ودم إبنه سيجعلنا طاهرين .. ربما مازالت توجد اليوم خطايا باقية فى حياتناولكننا غير مدركين لها ولذلك فإن علاقتنا مع الله تكون مستمرة .. ولكن يجب علينا هنا أن نفهم أن الضمير ــ مع أهمية الدور الذى يقوم به ــ ليس هو مقياس قداستنا ، لأنه محدود بحجم المعرفة .. أما مقياس قداستنا فهو **المسيح نفسه** .. ولكن فيما يختص بالشركة مع الله ، فإن شرطها الوحيد هو أن نحتفظ دائماً بضمير غير ملوم .. إلا أننا حتى بعد أن نعمل كل ما تمليه علينا ضمائرنا ، لا نستطيع أن نعتبر أنفسنا كاملين .. **فإن الضمير الصالح يؤكد فقط أننا كاملين فى حدود ما وصل إلينا من معرفة ، إنه يبيّن أننا قد وصلنا إلى هدفنا المرحلى ولكن ليس إلى الهدف النهائى .**

لهذا السبب ، فإن مقياسنا فى السلوك يرتفع مع إرتفاع مستوى معرفتنا الكتابية ومستوى إختبارنا الروحى .. فلكى نحتفظ بضمائرنا غير ملومة يجب أن تزداد حياتنا قداسة مع إزدياد النور

الذى يصل إلينا .. أما إذا سلكنا كما فى العام الماضى على الرغم من وصول معرفة جديدة لنا هذا العام ، فإن ضمائرنا لا بد أن تشتكى علينا .. إن الله لم يقطع علاقته بنا فى العام الماضى لأننا لم نكن نعرف خطايانا ، ولكن الآن بعد أن عرفناها فإن لم نتركها فإن الله لا بد أن يقطع علاقته بنا .. **فالضمير هو المقياس الحالى للقداسة المعطى لنا من الله** .. وكل من يخالف هذا المقياس يُعتبر أنه قد ارتكب خطية .

إن الله لديه الكثير ليقوله لنا ، ولكن بسبب عدم نضج فهمنا الروحى فإنه يضطر أن ينتظر .. فإن الله يتعامل مع كل واحد من أولاده على حسب مستواه .. وبسبب إختلاف مستوى المعرفة الضميرية ، فإن بعض المؤمنين يعملون أموراً معينة بضمير سليم ، بينما البعض الآخر يعتبرونها خطايا عظيمة .. **لذلك يجب علينا ألا ندين بعضنا البعض ، فإن الآب هو وحده الذى يعرف كيف يتعامل مع أولاده** ، فهو لا يتوقع أن يجد قوة « الشباب » فى « الأطفال » ولا خبرة « الآباء » فى « الشباب » انظر(١يو ٢ : ١٢ــ١٤) ، ولكنه يريد فقط أن كل واحد من أولاده يطيعه فى حدود ما وصله فعلاً من معرفة .

فإنه ليس من حقنا أن نحاول إقناع أحد اخوتنا بأن يطيع

الله فى أمر معين ، إلا إذا كنا متأكدين فعلاً أن الله قد كلمه فى هذا الأمر ، وأنه رفض أن يطيع (وبالطبع فإن التأكد من ذلك ليس سهلاً) .. **فإننا لا يجب علينا أبداً أن نجعل إخوتنا يسلكون بحسب ضمائرنا نحن** .. فإذا كان الله الكلى القداسة لم يرفضنا بسبب خطايانا التى عملناها بدون أن نعلم أنها خطايا ، فكيف نستطيع نحن أن نحكم بمقياس مستوانا الحالى ، على إخوتنا الذين عرفوا الآن فقط ما عرفناه نحن منذ العام الماضى .. ؟

وفى الواقع فإننا إذا كنا نريد أن نساعد الآخرين فلا ينبغى علينا أن نفرض عليهم التفاصيل الدقيقة ، بل أن ننصحهم فقط بأن يطيعوا بأمانة ما تقوله لهم ضمائرهم .. فمتى كانت إرادتهم خاضعة لله ، فإنهم سوف يطيعونه بمجرد أن يلقى الروح القدس نوره على كلمات الإنجيل الواضحة .. **طالما أن المؤمن قد أخضع ارادته لله ، فإنه سوف يعمل ما يريده الله فى نفس اللحظة التى يحصل فيها ضميره على إستنارة .**

نفس الشيء ينطبق علينا نحن .. فيجب علينا ألا نبالغ فى إستخدام أذهاننا لمحاولة فهم أمور فوق طاقتنا الحالية .. فطالما أننا مستعدين أن نطيع صوت الله فى أى وقت ، فهذا يكفى .. ولكن من الناحية الأخرى يجب علينا ألا نمتنع عن بحث أى موضوع يقودنا الروح القدس الى بحثه ، لأن الإمتناع فى هذه

الحالة لا بد وأن يخفض من مستوانا الروحى .. وبإختصار ، فإنه ليست هناك أى مشكلة على الإطلاق إذا كان الإنسان راغباً حقاً فى أن يسلك بالروح .

الضمير الضعيف

لقد سبق أن ذكرنا منذ قليل أن مقياسنا فى حياة القداسة هو المسيح وليس الضمير ، على الرغم من أن الضمير له أهمية كبيرة .. فالضمير يشهد لنا هل نحن أرضينا الله فى حياتنا اليومية أم لا ، أى أنه يصلح كمقياس لمستوى القداسة الحالى .. فإذا عشنا بحسب تعليمات الضمير ، فهذا معناه أننا قد وصلنا إلى المستوى الذى ينبغى أن نكون عليه فى اللحظة الحاضرة .. لهذا السبب يُعتبر الضمير ذا أهمية عظيمة فى سلوكنا الروحى .. فإذا عصينا تعليمات الضمير فى أى من الأمور ، فإنه سوف يؤنبنا على ذلك ، وبالتالى فإننا سوف نفقد سلامنا وسوف تنقطع شركتنا مؤقتا مع الله .. ليس هناك جدال بالمرة فى أننا يجب أن نطيع متطلبات ضمائرنا ، ولكن السؤال هو : على أى درجة من الكمال تكون هذه المتطلبات .. ؟

كما سبق أن رأينا ، فإن ضمائرنا محدودة بحجم المعرفة التى لديها .. **فهى لا تستطيع أن تؤنبنا على شيء إذا كانت هى**

نفسها لا تعرفه .. ولذلك فإن هناك فى الواقع فرقاً شاسعاً بين مقياس الضمير ومقياس قداسة الله .. وهذا الفارق يؤدى بالتالى إلى حدوث نوعين على الأقل من القصور فى حياتنا الروحية .

النوع الأول : هو أن الضمير ذا المعرفة المحدودة يدين فقط الأشياء التى يعرف أنها خطأ ، تاركاً فى حياتنا أشياء أخرى كثيرة ليست بحسب مشيئة الله .. وهذا القصور فينا يكون واضحاً أمام الله وأمام المؤمنين الآخرين الأكثر نضجاً ، ولكننا نستمر على ما نحن عليه بسبب نقص ما لدينا من نور .. ألا يُعتبر ذلك عيباً كبيراً .. ؟ نعم ، هو عيب كبير ، ولكنه على أى حال مقبول .. فإن الله لا يديننا على الأشياء التى لا نعرفها .. فعلى الرغم من وجود ذلك العيب فينا إلا أنه لا يحرمنا من أن نكون فى شركة مع الله وأن نكون مقبولين لديه طالما أننا نطيع القليل الذى تقوله لنا ضمائرنا .

أما **النوع الثانى** من القصور فهو — بخلاف الأول — يقدر أن يقطع علاقتنا مع الله .. فكما أن المعرفة الضئيلة قد تؤدى إلى عدم إدانة ما ينبغى إدانته ، كذلك ايضاً فهى قد تؤدى إلى إدانة ما لا ينبغى إدانته .. فهل معنى ذلك أن ضمائرنا تكون مخطئة فى قيادتهالنا .. ؟ كلا ، إن قيادتها لنا سليمة ويجب علينا أن نطيعها ، ولكن هناك درجات مختلفة من المعرفة عند

المؤمنين.فأشياء كثيرة مما يستطيع البعض أن يعملونها.عن معرفة ، يعتبرها ضمير البعض الآخر خطية بسبب نقص المعرفة .. هذه فى الواقع هى اعراض عدم النضج .. فالمؤمن الناضج يستطيع أن يفعل أشياء كثيرة بحرية كاملة بسبب تقدمه فى المعرفة وفى الإختبار وفى النمو ، ولكن إذا فعل المؤمن الأقل نضجاً هذه الأشياء فإن ضميره سوف يدينها بشدة لمجرد أنه لم يصل إلى نفس المستوى من المعرفة ومن النمو .

وهذا لا يعنى أن هناك مقياسين مختلفين للسلوك المسيحى ولكن يعنى فقط أن مقياس الخير والشر يتوقف على مستوى الشخص نفسه .. فهناك أشياء كثيرة تكون متفقة تماماً مع إرادة الله إذا فعلها المؤمنون الناضجون ، ولكنها هى نفسها تصبح خطية إذا حاول المؤمن الغير ناضج أن يقلدها .

والسبب فى هذا التفاوت هو إختلاف مستويات المعرفة الموجودة فى ضمير كل واحد .. فعندما يفعل المؤمن ما يشهد له ضميره بأنه حسن ، فإنه يكون مطيعاً لإرادة الله .. ولكن إذا حكم ضمير مؤمن آخر على نفس هذا الشىء بأنه شر ، فإنه إذا فعله يكون مخطئاً إلى الله .

إن إرادة الله مطلقة ولا تتغير ، ولكنه يعلن فكره لكل فر على حسب حدود مستواه الروحى .. فمن لديه معرفة أكبر

يكون ضميره أقوى ، وبالتالى فإنه يتمتع بحرية أكثر .. أما من تنقصه المعرفة ، فإن ضميره يكون أضعف ، وبالتالي فإن حريته تكون محدودة .

هذا ما نراه بوضوح فى الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس .. فلقد كان هناك خلاف كبير بين المؤمنين هناك بخصوص أكل ما ذُبح للأوثان .. البعض كانوا يعتبرون أنه ليس هناك شيء إسمه وثن وأنه لا يوجد إله غير الله وحده (١كو ٨ : ٤) ، وبالتالى لم يكن لديهم مانع من أن يأكلوا ما ذبح للأوثان لأنه لا يفرق فى نظرهم شيئاً عن اللحم العادى الذى لم يُذبح للأوثان .. أما البعض الآخر فقد ظلوا مدة طويلة يعبدون الأوثان ، ولذلك فلم يكن فى إستطاعتهم إلا أن يعتبروا أن هذا اللحم قد ذُبح فعلاً للأوثان وأنه لا ينبغى عليهم أن يأكلوا منه .. لقد كان ضميرهم ضعيفاً أثناء الأكل مما ذُبح للأوثان ، ولذلك فقد كان يتنجس (١كو ٨ : ٧) .

لقد فسر الرسول بولس هذا الاختلاف على أنه إختلاف فى المعرفة (ع ٧) .. فالفريق الأول كان لديه نور ولذلك فهو لم يكن يخطىء عند الأكل مما ذبح للأوثان ، لأن ضميره لم يكن يؤنبه .. أما الفريق الآخر الذى لم تكن عنده هذه المعرفة فإن ضميره كان يلومه إذا أكل مما ذبح للأوثان ، ولذلك فإنه

كان يُعتبر مذنباً .. من هنا نفهم أهمية المعرفة الروحية .. فأحياناً مع زيادة المعرفة تزداد شكوى الضمير ولكنها فى أحيان أخرى تقل .

فلنطلب من الرب أن يعطينا معرفة أكثر حتى نتحرر من أى قيود لا داعى لها ، ولكن لنحرص أن تكون هذه المعرفة مصحوبة بالتواضع لئلا نسقط فى دائرة الجسد ، كما حدث مع مؤمنى كورنثوس .. وفى حالة ما إذا كانت معرفتنا غير كافية ، وإستمرت ضمائرنا تشتكى علينا ، فيجب علينا أن نطيع صوتها بأى ثمن .. يجب علينا ألا نتفلسف ونقول أنه طالما أن هذا الأ ليس خطأ بحسب مقاييس الله العليا فإننا نستطيع أن نعمله على الرغم من تأنيب ضميرنا .. كلا ، إن الضمير هو المقياس الذى يقودنا الله من خلاله فى اللحظة الحالية ، لذلك يجب علينا أن نلتزم به وإلا فإننا نخطىء .. إن كل ما يدينه الضمير يدينه الله ايضاً .

ولكن ما ناقشناه هنا يتعلق فقط بالأشياء الخارجية مثل الأكل .. أما فيما يختص بالأشياء الأكثر روحانية ، فإنه لا يوجد مثل هذا الإختلاف فى الحرية مهما زادت المعرفة .. فالأمور الجسدية فقط هى التى يتعامل الله معنا فيها على حسب مستوى نضجنا .. فالمؤمنين الأحداث كثيراً ما يقودهم الله من خلال

الضمير أن يُخضعوا ذواتهم فى تلك الأمور المختصة بالمأكل والملبس وسائر الأمور الخارجية .. أما المؤمنين الأكثر نضجاً فإن ضمائرهم تتمتع بحرية أكبر فى هذه الأمور ، وذلك لأنهم قد تعلموا فعلاً كيف يخضعوا للرب .

ولكن للأسف فإن المؤمن المتقدم معرّض للوقوع فى حالة من أخطر الحالات .. فإن ضميره قد يصبح قوياً إلى درجة اللامبالاة .. إن المؤمن الحديث الإيمان ، إذا كانت عنده الرغبة فى إطاعة الرب بإخلاص ، سوف يجد أن ضميره يرشدة إلى الخضوع فى الكثير من الأمور ، فلأن ضميره يكون حساساً لذلك لا يجد الروح القدس صعوبة فى تحريكه .. **أما المؤمن المتقدم فإنه تكون لديه الكثير من المعرفة ، ونتيجة لذلك فإنه يستخدم ذهنه بدرجة كبيرة قد تؤدى إلى إعاقة حساسية الضمير** .. فهو معرّض أن يتصرف بحسب المعرفة التى فى ذهنه حتى إنه يصبح من الصعب أن يتحرك بواسطة الروح القدس .. هذه فى الواقع ضربة قاتلة للحياة الروحية ، فهى تحرم سلوك المؤمن من الحيوية ، وتجعله سلوكاً جامداً وتقليدياً .

لذلك فمهما إزدادت المعرفة لدينا ، يجب علينا أن نحرص أن لا نسلك بموجبها بل نسلك بموجب ضمائرنا .. فإننا إذا تجاهلنا ما تدينه ضمائرنا فى الداخل ، وإتخذنا من المعرفة مقياساً

لسلوكنا ، فإننا نكون قد بدأنا بالفعل نسلك بحسب الجسد .. ألم نلاحظ فى أحيان كثيرة كيف كانت ضمائرنا منزعجة عندما بدأنا فى عمل أشياء ليس عليها أى لوم بحسب المقاييس الذهنية ؟ إن كل ما يدينه الضمير هو مخالف لإرادة الله ، حتى إذا كانت أذهاننا تقر أنه حسن ، وذلك لأن أذهاننا تستقى معلوماتها من التفكير وليس من الإعلان الروحى .. ومن هنا فإن إرشاد الضمير وإرشاد الذهن ، أحيانا يكون بينهما تضارب واضح .

يخبرنا الرسول بولس أننا إذا أهملنا تأنيب الضمير وسرنا وراء الذهن ، فإن حياتنا الروحية ستتعطل جداً .. « لأنه إن رآك أحد يامن له علم متكئاً فى هيكل وثن أفلا يتقوى ضميره إذ هو ضعيف حتى يأكل مما ذُبح للأوثان ، فيهلك بسبب علمك الأخ الضعيف الذى مات المسيح من أجله » (١كو ٨ : ١٠، ١١) .. فالمؤمن الضعيف ، إذا خالف صوت ضميره وأكل مما ذبح للأوثان لمجرد أنه رأى أخاه الأكثر معرفة يأكل منه ، فإنه يرتكب خطية ..

لذلك فلنحرص أن لا نسلك أبداً بحسب المعرفة التى لدينا مهما كانت عظيمة ، بل نسلك فقط بحسب الضمير .. احياناً تؤثر المعرفة على الضمير ، ولكن حتى فى هذه الحالة يجب علينا أن نطيع الضمير .. **إن الله يهمه طاعتنا له اكثر مما يهمه صواب سلوكنا** .. إن إستماعنا لصوت الضمير هو الذى يؤكد صدق

طاعتنا وتكريسنا ، فإن الله يختبر دوافعنا من خلال الضمير ليعرف هل نحن نريد فعلاً أن نطيعه أم أننا نبحث عن شيء آخر .

هناك نقطة أخرى يجب علينا أن نحترس منها وهى « تحجر الضمير » .. فعندما نعيش فى وسط أناس لهم ضمائر متبلدة ، فإن ضمائرنا نحن أيضاً تكون معرّضة لأن تتبلد من خلال مناقشاتهم ومحادثاتهم وتعاليمهم وإقناعاتهم .. لذلك يجب علينا أن نحترس من المعلمين ذوى الضمائر المتحجرة ، وأن نرفض كل محاولة من البشر لتشكيل ضمائرنا .. يجب أن تكون ضمائرنا مسئولة أمام الله فى كل الأمور .. ويجب علينا نحن ايضاً أن نكون على مستوى المسئولية من جهة تنفيذ إرادة الله .. أما إذا تركنا ضمائرنا وسرنا وراء ضمائر الآخرين ، فإننا لا بد أن نفشل .

والآن دعونا نسترجع ما قلناه :

إن ضمير المؤمن هو أحد الوظائف الأساسية التى تقوم بها الروح لذلك يجب علينا أن نطيع إرشاده بدقة .. ومع أن الضمير يتأثر بحجم المعرفة ، إلا أنه يمثل إرادة الله العليا لأولاده فى هذا اليوم ، فلنحرص أن نكون على أفضل مستوى يمكننا أن نصل إليه اليوم ، أما ما عدا ذلك فلا ينبغى أن نقلق بخصوصه .

لنحرص دائما أن تظل ضمائرنا فى حالة سليمة ، فلا نسمح لأى خطية بأن تسيء إليها وإذا شعرنا فى أى وقت أن

ضمائرنا قد تبلدت حتى لم يعد شيء يحركها ، فعلينا أن نعرف أننا قد انزلقنا إلى الحالة الجسدية ، ففى هذه الحالة يكون كل ما لدينا من معرفة كتابية مختزناً فى العقل وليس فيه أى طاقة حية .

يجب علينا أن نطيع بإستمرار حواس أرواحنا ــ طالما أننا ممتلئين من الروح القدس ــ وذلك حتى تزداد حساسية ضمائرنا يوماً بعد يوم .. يجب علينا أن نرجع فوراً عن أى خطأ نعرف أنه قد فصل بيننا وبين الله .. يجب علينا ألا نهتم فقط بالذهن ونهمل حواس الضمير ، فإن مستوى الروحانية يُقاس فعلياً بمدى حساسية الضمير .

ما اكثر المؤمنين الذين أهملوا ضمائرهم فى الماضى ، والآن قد أصبحوا بلا حياة ، يختزنون فقط فى أذهانهم قدراً من المعرفة الميتة .. فلنحرص إذاً لئلا نقع نحن ايضاً فى نفس الفخ .. ليس هناك خوف من أن تكون ضمائرنا حساسة أكثر من اللازم ، ولكن الخوف هو أن تكون متبلدة أكثر من اللازم .. إن الضمير هو المؤشر الذى يستخدمه الله ، فهو يخبرنا عن مواضع الخطأ والأمور التى تحتاج إلى اصلاح ، لذلك فإننا نستطيع أن نتجنب الكثير من النتائج المدمرة إذا نحن استمعنا فى الوقت المناسب لصوت الضمير .

جمع تصويرى ـ اخراج فنى ـ طباعة

لوجوس برنت ســـنتر

٧ شارع ابو المحاسن ـ مصر الجديدة

خلف نادى هليوبوليس

رقم الأيداع : ٧٨٢٩/ ١٩٨٩